جامعة الأزهر حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا

معاناة الغربة في ديوان المعتمد بن عباد

دراسة وتحليل

الدكتورة رضا رمضان أحمد

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بالمنصورة

العدد السادس عشر

للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

PT-17/798.

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد النبي الهادى الأمين ،وعلى آله والصحابة أجمعينوبعد

فإن للبعد عن الوطن أثرا كبيرا في النفس لا يدركه إلا من عاناه ،وعاش في أجوائه،ونظر في نفسه،وتأمّل مجريات حياته فإذا بالظلال قد تغيرت ،وإذا بالألوان قد اختلفت،وطعم الحياة تبدل ،وأصبح بداخله بصمات قاسية ربما لا يمحوها الزمن .

على أنَّ بصيصا من الأمل يلوح في الأفق من وقت لآخر عندما تطوق نفس الغريب إلى الذكريات الجميلة، والأيام الحلوة التي تذكره بما كان في يوم من الأيام.

فيلقى بنفسه فى خضم هذه الذكريات بكل مفرداتها ...ابتسامة حلوة ..صوت دافئ ..موقف مؤثر ..لمحة عابرة ...فيرى نفسه التى غابت عنه ،وغاب عنها حتى كاد أنْ ينسى ملامحها وقسماتها .

هذا . وإنْ وُهِبَ فنية صناعة القصائد ،والأشعار اتخذ منهما طريقا للتعبير عن شعوره وإحساسه ،ووسيلة للتنفيس عن صدر مكروب ،وقلب مكلوم ،فإذا بالتجربة صادقة لا محالة ،والتعبير عنها واصف بلا شك .

هذا اللون من الشعر يُعدُّ بحق "كنوزا من ثروة وجدانية هائلة لا تكاد توجد في تراث سائر الأمم"(١)

ولشدة أثر البعد عن الوطن ،ومفارقة الأهل والخلان ،وما فيهما من عناء ومشقة على النفس قال - سبحانه -في محكم التنزيل (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسكُمْ أَو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) (٢)

وقال أيضا:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيتَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسكُمْ مِنْ دِيَاركُمْ) (٣)

⁽٣) سورة البقرة آية ٨٤



⁽۱) الإغتراب (الاغتراب) والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجرى مها عبد الله الزهراني – ط- الشركة الشرقية – الدمام – ١٤٢٥ –ط- الثانية ص ٩

⁽٢) سورة النساء آية ٦٦

ولا ننسى هجرة الرسول الكريم - ﷺ - من مكة إلى المدينة فهى صورة جلية لآلام البعد عن الوطن فقال مُعبِّرا "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله -عز وجل - ولولا أنى أُخْرجْتُ منك ما خرجت "(٤)

وصورً ابن جبير تلك المعاناة بقوله:

تلك المعاناة عايشتها بكل مفرداتها ،وإن كنت لم أوهب ملكة التعبير عنها شعرا إلا أننى وجدت شعر المعتمد بن عباد (٢) تعبيرا عن لسان حالى ناطقا بما ينطوى عليه قلبى ،فشاركنى الشعور، وشاركته الإحساس ،ووجدت فى شعره صدى صادق لما فى نفسى ؛ فحزنت لحزنه ،وتألمت لألمه .

فقد تعرض المعتمد في حياته المآس من قرأها لابد له أن يكون جامد الحس فاتر العاطفة حتى لا يأسى لمأساة المعتمد ،ولا تهزه أشعاره الباكية ، وأنغامه

⁽٤) الجامع الصحيح -سنن الترمذي - رقم ٣٩٢٥- إعداد الشيخ - هشام البخاري - ط- دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

 $^{(\}circ)$ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب -المقرى - ط دار صادر - بيروت - 1971 - ج/7 ص- 77

⁽٦) المعتمد بن عباد :أبو القاسم محمد الملقب بالمعتمد على الله ،والظافر بحول الله ،والمؤيد بالله أشهر ملوك الطوائف تولى إمارة إشبيلية وهو في الثلاثين من عمره كان أبوه المعتضد ملك أشبيلية طاغية جبارا اتجهت مطامعه إلى غزو جيرانه كان المعتمد كأبيه شاعراصادقا بكل ما توحى هذه الكلمة ،وقد بلغ من شدة حبه الشعر أنه كان لايستوزر كاتبا ولا وزيرا ما لم يكن شاعرا حتى صارت إشبيلية فوق علوها السياسي صاحبة العلو الثقافي أيضا كان أمراء قرطبة ألد أعداء المعتمد دارت بينه وبينهم حروب حتى استوى الأمر للمعتمد سعى المعتمد الصلح بينه وبين ألفونس ملك قشتاله الذي تعهد بمعاونة المعتمد على محاربة خصومه مقابل مقادير كبيرة من المال يؤديها المعتمد مالبث المعتمد بعدها أن شعر بأنه أصبح فريسة النصاري يهددون ملكه فاستغاث بيوسف بن تاشفينأمير الرابطين فاستجاب له يوسف ، و التقي الجمعان في معركة الزلاقة وانتصرا على أعدائهما ،ورجع يوسف إلى بلاده لكن هاله ما كان الجمعان في معركة الزلاقة وانتصرا على أعدائهما ،ورجع يوسف الي بلاده لكن هاله ما كان الوائه وسقطت دولة بني عباد في منتصف رجب سنة ٤٨٤هـ وأسر المعتمد وأسرته بأعمات بمراكش ومات بها - ديوان المعتمد بن عباد حجمع وتحقيق أحمد بدوى - حامد عبد بأعمات بمراكش ومات بها - ديوان المعتمد بن عباد القاهرة - ١٩٥١ عصر الدول والإمارات - الأندلس - د - شوقي ضيف حدور المعارف ص ٣٩٥٠

الشجية ويؤثر فيه ما ذاق من الهوان وتعرض له من سوء المعاملة في منفاه هو وزوجه وأولاده "(٧)

وصدق فيه قول المقرى "فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها ، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها "(^)

وإن كانت محنته أكبر ،ومصيبته أعظم فقد جمع بين معاناة الغربة ،وآلام الأسر في ظل أقسى سلطان بعد أن فقد العزة ،والسلطان .

من أجل هذا وجدت نفسى مدفوعة إلى القراءة فى شعر المعتمد ،والوقوف عند أبياته التى عبر من خلالها عن شعور كل غريب حزين يعانى مرارة البعد عن الوطن .

"ونستطيع القول: إن أشعار المعتمد الشاكية هي التي حركت مشاعر المؤرخين، وحملتهم على الوقوف بجانبه ؛ حتى غدت مأساة المعتمد حديث الناس عامة، يتلقونها في مختلف الأقطار "(٩)

وهذا ما عبَّر عنه المعتمد قائلا:

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا : بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا السرت من الغرب لا يطوى لها قدم : حتى أتت شرقها تنعاك إشراقا(١٠٠)

وكان المنهج التحليلي (۱۱) بسماته وخصائصه هو الأنسب لفهم الأبيات ومعرفة دخائلها.

 ⁽٧) الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين – د/ عبد الله ثقفان –ط – مكتبة التوبة –ط – الأولـــي
 ص ٨

 $^{(\}Lambda)$ نفح الطيب -1/1

⁽٩) تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد – عامر عبد الله – رسالة ماجستير – فلسطين ١٥٥ – ٢٠٠٤ – ص ١٥٥

⁽۱۰) ديوان المعتمد بن عباد – ص ١١٠

⁽١١) المنهج التحليلي :لون من ألوان الكتابة المعتمدة على التحليل النفسي للبطل والأحداث والشخوص الثانويين – التراجم الغيرية في الأدب العربي الحديث – المفهوم والأصول والاتجاهات - د/ محمد أحمد العزب ط مطبعة الإيمان – ٢٦١ - ١٠٠١ مـ ١٦٦

هذا وقسمت خطة البحث كالآتى:

مقدمة فيها سبب اختيار الموضوع والدافع إلى دراسته .

الفصل الأول: شعر الغربة تأصيلا وتفصيلا.

الفصل الثاني: شعر الغربة عند المعتمد الأفكار والمعاني.

الفصل الثالث :شعر الغربة عند المعتمد الألفاظ والأساليب .

الفصل الرابع :شعر الغربة عند المعتمد صور ومشاهد.

الفصل الخامس: شعر الغربة عند المعتمد الوزن والإيقاع النغمى.

خاتمة فيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

فهرست يضم مصادر البحث ومراجعه .

(الفصل الأول)

شعر الغربة تأصيلا وتفصيلا



أ. معنى الفرية وارتباطها بالحنين:

الغربة تشتمل على عدة معان لغوية منها:

- ١ النزوح عن الوطن و الاغتراب.
 - ٢ النوى والبعد .
- الذهاب والتنحى عن الناس(17).

وهذا يعنى أن الاغتراب والغربة ، يفيدان أن الشاعر غريب عن وطنه ، ومغترب عن مجتمعه وذاته ، ومنعزل عن الناس فالبعد إما نفسى وإما مكانى الثانى سبب فى الأول ،ومُتولِّد عنه ومن هنا كان "الاغتراب نقيض الاقتراب ، وهو الابتعاد عن الأهل والديار والوطن الذى هو الوعاء المكانى للإنسان ... وبذلك كان الارتباط بين الإنسان والمكان مولدا لانتماء أكثر تعقيدا من الانتماء للأسرة أو القبيلة وهو الانتماء الوطنى ؛ لأنه ارتباط بالأرض بحيث يشعر الإنسان أنه جزء منها وأنها مكانه الطبيعى الذى لا يمكنه أن يعيش بدونه ، أو يستغنى عنه"(١٣)

فالإحساس بالغربة نابع فى أصله من فطرة الارتباط بين الإنسان، والمكان الذى نشأ به وعاش بين جنباته ،فاتصلت نفسه بكل ما فيه من تراب ،وشجر ، وهواء ،وماء ...

فإذا حَدَث وغادر هذا المكان شعر كأنه اقْتُلِعَ من جــذوره ،وفــارق روحــه ،وغاب عقله وما ذاك إلا لأن الاغتراب "يعنى الانفصال وعدم الانتمــاء ويعــرف أيضا بأنه وعى الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به والمحبطة لــه ،وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق "(١٤)

⁽١٤) المرجع السابق ص ١٧



⁽١٢) لسان العرب – ابن منظور المصرى طبعة دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان – ط الثانية ١٤١٢ –مادة غ.ر.ب.

⁽١٣) الاغتراب والحنين بين المشارقة والأندلسيين – مها الزهراني ص١٦– ١٧

مما يدفع بالغريب دفعا إلى الحنين (١٥) للوطن والشوق للعودة إليه ولو لزمن يسير فتعود للغريب روحه ،ويرد إليه قلبه ،وترجع إليه ابتسامته ،ويـوب إليـه هدوء نفسه ،وسكون عقله .

"والحنين ظاهرة إنسانية عامة ..وهـى اسـترجاع الماضـى واستحضـاره ،ومعايشة وقائعه المكانية والزمانية فى الوطن بين الأهل والأحبـاب والأقـارب وتذكر عهود الصبا والشباب واللذائذ واللهو "(٢١)

فلا نستطيع أن نفصل بين الغربة ،والحنين فالارتباط بينهما كالارتباط بين المقدمة والنتيجة فهما "أمران متصلان أحدهما ناشئ عن الآخر فالغربة تولد الحنين وتبعث عليه ،وتضاعف من وطأته كلما طالت وقست ظروفها والحنين عاطفة جياشة جبلت النفس عليها فهى تحن لكل ما تألفه وتحبه ويلذ لها ويسعدها"(١٧).

والغربة أنواع ، النوع الأول : غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين الخلق وهي الغربة التي مدح رسول الله - ﷺ - أهلها فقال :

" إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء "(١١)

وهى غربة لا وحشة على صاحبها ؛ لأنَّ وَلَيّه الله ورسوله والذين آمنوا وإنْ عاداه أكثر الناس وجفوه .

النوع الثانى :غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق وهم أهل وحشة على كثرة مؤنسيهم وهي غربة مذمومة .

النوع الثالث: غربة مشتركة لا تُحْمَدُ، ولا تذمُّ وهى الغربة عن الـوطن فـإن الناس فى الأصل فى هذه الديار غرباء ،إذ ليس لهم بدار مقام ولا هى الدار التى خلقوا لها(١٩).

⁽١٩) انظر الاغتراب والحنين – ص١٩ وما بعدها



⁽١٥) الحنين : الشوق وتوقان النفس- لسان العرب مادة -ح.ن.ن.

⁽١٦) الاغتراب والحنين بين المشارقة والأندلسيين ص ١٩

⁽١٧) المرجع السابق ص١٩

⁽١٨) الحديث في الجامع الصحيح - سنن الترمذي --رقم ٢٦٢٩-الحديث حسن غريب -

ب معاناة الغربة عند شعراء العصر الجاهلي :

الإحساس بالغربة والتعبير عنها شعرا قديم قدم الحديث عن الشعر ذاته فمقدمة القصيدة لدى الشاعر الجاهلى مُعبّرة عن هذا الإحساس بصدق عندما كان يقف ويستوقف على الأطلال ويذكر الأحبة والديار ،ويسترجع النكريات العذبة والأيام الخوالى ويبكى ويستبكى ،وفى البكاء راحة لقلبه الذى ما فتئ يذكر الأحبة وأيامهم وما أكثر الأطلال عنده فهى طبيعة اقتضتها الحياة الجاهلية القائمة على الحل والترحال حيث مساقط الماء ومنابت العشب .

وتُعْتَبَر نَجْد دون غيرها مكان حنين الشعراء ورمزا للنقاء الأول والرغبة في العودة إلى هذا النقاء .

" إن الواقع الذي عاشه الجاهليون ينتظم العالم الطبيعي والاجتماعي ،ولهذا فإن الغربة المكانية ترتبط بالمكان والمجتمع معا لأنها غربة مجتمع عن أرض يرتبطون بها ،أوغربة شاعر عن أرضه ومجتمعه إلى غيرهما ،ولهذا فإن الحنين إلى الأرض يتراكب مع الحنين إلى الأهل ،والبين عن المكان وهو بين الوطن الذي يجمع بين دفتيه عناصر مكانية وبشرية "(٢٠)،

ومن النماذج الجيدة التي صور فيها الشاعر حبه لأرضه ،وتعلقه بوطنه قوله:

أقول لصاحبی والعیس «تهوی ن بنا بین المنیفی «فالضمار» تمتع مین شیم عیرار نجید ن فما بعید العشیة مین عیرار الا یاحبین النامی نجید ن وریاروضیة بعید القطار وأهلیك إذ یحیل الحی نجید ن وأنیت علی زمانیك غییر زاری شهور ینقضین ومیا شعرنا ن بأنصاف لهین ولا سیرار((۱۲)

⁽۲۰) الأدب الجاهلي-قضايا وفنون ونصوص - د/حسن عبد الجليل -ط- مؤسسة المختار -ط- الثانية - ۲۰۰۳ ص ۱٤٩

⁽٢١) شرح ديوان الحماسة التبريزى -ط- عالم الكتب - بيروت ١٢٢/٣- العيس: بياض في ظلمة خفيفة والعرب تجعله في الإبل العراب خاصة *المنيفة :موضع أو هضبة مرتفعة الضمار :مكان أو و اد منخفض بضمر السائر فيه.

وربما كانت الناقة رمزا لهذا الحنين الفطرى إلى الوطن.

والإنسان في شوق دائم إلى وطنه وأرضه على الرغم مما قد يلقاه في غربته من صور مختلفة للنعيم ،والرفاهية ،والراحة .

"إن الوقوف على الأطلال وما يمثله من تجربة وجودية أمام الفناء يستمخض عن شعور بالغربة ،غربة الإنسان في مواجهة الزمان والمكان الذي يتغير بتغير الزمان والزمن يفعل فعله في المكان "(٢٢)

وفى العصر الجاهلى تبرز فئة الصعاليك الذين كانوا أكثر الناس إحساسا بالغربة ،وفقدانا لانتمائهم إلى قبائلهم التى خلعتهم فتشردوا فى الفلوات ،وتلونت حياتهم بالاغتراب "ولقد كان بروز تلك الفئة المغتربة ممتدا عبر العصور الأدبية جميعا ،يحكون بتشردهم وضياعهم شعرا يصوغ معاناتهم وشعورهم بالتمزق ومعايشة الوحوش فى الصحراء التى ألفتهم وألفوها وفقدانهم الطمأنينة جراء الطرد والاغتراب "(٢٣)

ج معاناة الغربة عند شعراء صدر الإسلام :

مع بداية عصر صدر الإسلام وبعد تشريع الجهاد انطلق المسلمون فاتحين ومبلغين دعوة الحق مهما كلفهم ذلك من مشقة وعنت ،وربما فقدوا أرواحهم في سبيل الله .

"ومن سنة الله فى خلقه أن يتشوق هؤلاء العجزة إلى أقاربهم المغتربين وأن تزدحم نفوسهم ،وقلوبهم بالألم ،وأن يكابدوا من الحنين والشوق إلى رؤية هؤلاء الأقارب ما الله به عليم فانبروا يشكون ما يعانون من الحزن والألم "(٢٤) وإن تطور مفهوم الغربة إلى غربة الموت ،ووحشة القبر والوحدة .

⁽٢٢) الأدب الجاهلي- قضايا وفنون ونصوص - ص ٣٦٥

⁽٢٣) الاغتراب والحنين بين المشارقة والأندلسيين ص٢٥

⁽۲٤) الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى-د/ ظافر الشهرى-ط- مطابع الحسيني الحديثة - ردمك ط- ۲۰۰۲ - الأولى ص١٧٦

د معاناة الغربة عند شعراء العصر الأموى:

مع بداية العصر الأموى،وكثرة الفتوحات الإسلامية خرج كثير من أبناء الجزيرة العربية إلى الجهاد تاركين وطنهم،وأهلهم وتبلورت في نفوسهم مشاعر الشوق والحنين إليهما ،وتضاعف إحساسهم بالغربة حتى تراءى لهم هاجس الموت على أرض المعركة وقد صور ذلك بوضوح مالك بن الريب التميمي (٢٥) في مرثيته الخالدة حيث قال:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بعنب الغضى أزجى القلاص النواجيا

فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه ∴ وليت الغضى ماشى الركاب لياليا(٢١)

ومن المفاهيم التى تطورت فى هذا العصر غربة التشرد التى عاناها جملة الشعراء العذريين أمثال قيس بن الملوح (٢٠) الذى استبد به العشق ،والهيام فتغرّب فى البوادى ،ينشد ليلاه ،ويحن للى نجد يذكره بها هبوب الصبا ،وهتاف الورق ، وعهود الشباب من هذا قوله:

خليلي مرابي على الأبلق الفرد ن وعهدى بليلي حبذا ذاك من عهد

ألاياصبا نجد متى هجت من نجد نود زارنى مسراك وجدا على وجدى (٢٨)

هـ معاناة الغرية عند شعراء العصر العباسي :

فى هذا العصر يتطور مفهوم الغربة إلى مفهوم الأسير عند أبسى فراس الحمداني (٢٩) الذى بث تضاعيف حزنه وهو أسير فى أيدى الروم فى قصائد رائعة

⁽٢٩) أبو فراس الحمداني :الحارث بن سعيد بن حمدان أمير شاعر فارس كان الصاحب بن عباد يقول بدئ الشعر بملك وختم بملك توفي سنة ٣٥٧هـ - الأعلام الزركلي طبعة دار العلم للملايين - بيروت - ج ٢ ص ١٥٤



⁽٢٥) مالك بن الريب التميمى :عاش فى القرن الهجرى الأول .من أجمل العرب جمالا ،وأبينهم بيانا .وكان فى أول أمره لصا فاتكا حتى دعاه سعيد بن عفان والى خرسان إلى ترك حياة اللصوصية والانتماء إلى جند المجاهدين فى سبيل الله وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر ،مات بخرسان ودفن بها – المنتخب من عصور الأدب – ذو النون المصرى سعد شابى – ط عالم الكتب – القاهرة ج -1 – -1

⁽٢٦) المرجع السابق نفس الصفحة

⁽۲۷) قيس بن الملوح :أحدعشاق العرب المشهورين شاعر أموى يعتمد في تحقيق شعره على ما ورد في الأغاني وقصته مع ليلي مشهورة نشأت بينهما عندما كانا يرعيان الماشية عند جبل التوباد- الديوان -شرح عدنان درويش -ط- دار صادر - بيروت ص١١

⁽۲۸) دیوان مجنون لیلی ص ۷۹

"هى أحسن ما قيل من شعره فى التعبير عن عواطف الاغتراب والأسر والشوق والحنين والألم النفسى والجسدى"(٣٠)

ونلمح غربة المهاجر عند أبى الطيب المتنبى (٣١) الذى كان يجشم نفسه أسفارا أبعد من آماله حتى خيل إليه أن البلاد تلفظه فلا يستقر فيها:

إذا كانـــت النفــوس كبـارا : تعبـت فــي مرادهـا الأجسـام (٣٣)

وأحيانا تحس فى شعره أنه قاهر للغربة ،وآلامها ومتاعبها النفسية ،ولياليها المظلمة تلمح هذا بوضوح فى قوله:

غني عن الأوطان لا يستخفني ن إلى بلد سافرت عنه إياب (٣٣)

ويمثل أبو العلاء المعرى $(^{**})$ قمة الإحساس بالغربة الفكرية وأنه اجتمعت عليه ثلاثة ألوان من الغربة كل لون منها أشد وقعا عليه من الآخر غربة العمى ، وغربة الانعزال عن معاشرة الناس ،وأهل عصره ،وغربة نفسه داخل جسده فهو القائل :

أرانى فى الثلاثة من سبجونى .. فلا تسأل عن الخبر النبيث* لفقدى ناظرى ولروم بيتى .. وكون النفس فى الجسد الخبيث وو معاناة الغربة فى شعر الأندلسيين :

عند الأندلسسين يبرز مفهوم الهارب عندما قام العباسيون بتعقب بنى أمية، ومطاردتهم وإعمال يد القتل والتعذيب فيهم ويبدوهذا المفهوم في شعر الأمير عبد

⁽٣٠) الاغتراب والحنين بين المشارقة والأندلسيين ص ٣٣

⁽٣١) المتنبى :أحمد بن الحسين الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب العربى ولد بالكوفة وإليها نسب ثم تنقل في البادية يطلب العلم والأدب - الأعلام - ج ١ص١٥

⁽٣٢) شرح ديوان المتنبى -عبد الرحمن البرقوقي -ط-دار الكتاب العربي جيروت - لبنان - 19٨٠ - ١٩٨٠ - ١٩٨٠

⁽٣٣) شرح ديوان المتنبى - اليازجي -ط- دار صادر -ج٢ص٣٥٣

⁽ 3π) أبو العلاء المعرى :أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى فيلسوف ولد ومات فـى معرة النعمان كان نحيف الجسم أصيب بالجدرى صغيرا فعمى فى السنة الرابعة من عمـره شعره ديوان حكمته وفلسفته – الأعلام – ج- 10 \times 10 شعره ديوان حكمته وفلسفته – الأعلام – ج-10 \times 10

⁽٣٥) لزوم ما لا يلزم – أبوالعلاء المعرى – طـ دار صادر جيروت ج١ص٩٢٤

الرحمن الداخل "(٢٦) ومع أن الأمير الهارب نال سلطة في الأندلس ومركزا قياديا، إلا أنه أحس بغربته عن أهله ،وعن موطنه ووحشة الهروب والمطاردة، تلك المشاعر أثارتها رؤيته نخلة في قصر الرصافة بقرطبة فقارن بين حاله ، وحالها ورأى في غربتها شبها كثيرا بغربته "(٣٠) فأنشد :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة .. تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل فقلت شبيهى في التغرب والنوى .. وطول اكتئابي عن بني وعن أهلى نشأت بأرض أنت فيها غريبة .. فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلى مثلى

فهذه الأبيات وغيرها من شعر الأندلسيين الأوائل مغلفة بمسحة شرقية في خصائصها "ثم بظهور الجيل الجديد الذي تعلم وتثقف بثقافة عربية أصيلة بدأت في محاكاة مناطق التأثير، ثم بدأت الاستقلالية عندما استوى عود الثقافة في الأندلس وكثرت الينابيع الثقافية بين علماء ،ومفكرين "(٢٩)

هذا الانتماء إلى البيئة المشرقية دافع دفين داخل النفس بفعل النشأة ،والتكوين حاولوا التخلص منه فيما بعد شيئا فشيئا ، فأصبح لأدبهم ما يميزه مطبوعا بطوابع أندلسية خالصة "ولولا استعلاء المشارقة لما فكر أهل الأندلس في الذات المحددة بالمكان ولبقوا ينطلقون في أدبهم من نفس المنطلق الذي ينطلق منه الأدب المشرقي"(٠٠)

وتظهر الشخصية الأندلسية بوضوح فى أبيات شعرية عبروا من خلالها عما أصاب المجتمع الأندلسي من أزمات ونكبات غيرت وجه الحياة الأندلسية " بسبب الفتن الداخلية والخارجية .. الأمر الذى أدى إلى جعل الشخصية الأندلسية وبالذات

⁽٤٠) المرجع السابق – ص١٠



⁽٣٦) عبد الرحمن الداخل:عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعـروف بالداخل فر إلى الأندلس فنال بها ملكا أورثه أبناءه وأحفاده – نفح الطيـب – ج٣ص٧٧ومـــا بعدها٠

⁽٣٧) الاغتراب والحنين بين المشارقة والأندلسيين ص٣٠٠

⁽۳۸) نفح الطيب - المقرى -ج٣ص٥٥

⁽٣٩) الأنتماء في الأدب الأندلسي أنموذج فريد محاولة لاستقراء بعض النصوص التاريخية الأدبية - حبد الله تقفان -ط- مكتبة التوبة - ط١-١٤١٦-١٩٩١ ص ٩

شخصية المفكر تعيش فى قلق ،وتتنازعها أمور عدة ،فبعضهم يرى أن بقاءه فى بلاده من الضعف الذى يؤدى به إلى النهاية المجهولة ،والبعض الأخر يرى أن ابتعاده عن الوطن مأساة تزيد على مآسيه التى يعانى منها داخليا فى نفسه"(١٤) فى خضم هذه الاضطرابات الداخلية فى صفوف المجتمع الأندلسى كان هناك بعض الشعراء يحث على الهجرة وترك الوطن ،والأهل أولئك الذين وجدوا فى الخروج مأمنا لهم وبعدا عن القلق ،وإن كلفهم ذلك مرارة الفراق فقال أحدهم:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم : فما المقام بها إلا من الغلط ونحن بين عدو لا يفارقنا : كيف الحياة مع الحيات في سفط (٢٤)

أما وأن يخرج آل الأندلس من ديارهم فهذا بلا شك أمر جد عسير فعواطفهم مجبولة على الرقة ،ومشاعرهم مطبوعة على شدة الإحساس ونظرتهم إلى وطنهم نظرة لا تحاكيها إلا جنة الخلد "فقد كانت بلادهم الأندلس لديهم هي قطعة من الجنة ؛لما حباها الله من طبيعة ساحرة ،وجمال خلاب ،ومناظر فاتنة خلابة وقعت عليها عيونهم ،فكانت مجالا خصبا لفنهم "(٢٠)

ولعل فى أبيات ابن خفاجة الأندلسى (١٤) تصويرا لهذا المعنى حيث قال:
يا أهال أنادلس شدركام من مساء وظال وأنهار وأشاجار وأشاختار ماجنة الخليد إلا في دياركم من وليو تخيرت هنذا كنت أختار لا تتقاوا بعدها أن تدخلوا سقرا من فليس تدخل بعد الجنة النار (٥٠)

⁽٤٥) ديوان ابن خفاجة :ط- دار صادر -بيروت -١٩٦١- ص١١٧



⁽٤١) الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين ص ٩

⁽٤٢) نقلا عن المرجع السابق-ص١٢

⁽٣٤) مقال بعنوان الخروج من الجنة في الشعر الأندلسي "بقام د- عبد الرحمن حمدان - موقع الشبكة العنكبوتية.

⁽٤٤) ابن خفاجة : ابر اهيم بن أبي الفتح بن عبد الله الأندلسي - شاعر الغزل و الطبيعة من الكتاب البلغاء لم يتعرض لاستمالة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله - الأعلام ج ١ ص٥٧٠٠ .

بهذه الرقة وبنفس الإحساس استطاع الشاعر الأندلسى أن يعبر بصدق عن الشعور الشديد بالفقد عندما فارق دياره فقد " مر بجميع الحالات الوجدانية الانفعالية التي مر بها الناس في مجتمعه فاختزنها ثم ألبسها لباسا أدبيا ظهر في الشعر والنثر ... فإذا أردنا أن نعرف شيئا عن المدن المدمرة ، والديار المخربة ، والمجتمع المشتت ،والعدو المتربص ،والضعف المتمكن ،فما علينا إلا العودة لديوان الفكر الأندلسي لنقف على كل تلك القضايا التي ظهرت فيه "(٢٠)

ومع بداية النهاية ومع نزع اللبنة الأخيرة في البناء المتماسك قبل هدمه وجدنا الأندلس "كالجدار الذي تصدع ثم انهار فجأة ،أو كالسفينة التي فقد ربانها السيطرة عليها فأخذت تغوص شيئا فشيئا في لج البحر. لقد تساقطت مدن الأندلس وقلاعها وحصونها كما تتساقط أوراق الشجر في خريف عاصف. ولم يبق أمام سكانها إلا الرحيل والهجرة "(٧٤)

فإذا بأهل الأندلس شعراء ،وغير شعراء تتفتح أعينهم على حقيقة طالما غفلوا عنها ولم يلتفتوا إلى أصوات نواقيس الخطر التى كانت تعلوا رناتها فى أفق الأندلس علهم ينتبهوا فيأخذوا حذرهم ،وأسلحتهم ويعدوا العدة للعدو الرابض فإذا بهم يعيشون المأساة بأبعادها الثلاثة "مأساة أرض سلبت، ونكبة معالم خربت، ومصيبة نفوس رزئت "(٤٨)

فإذا بشعر الحنين إلى الماضى وحلم العودة إلى الأيام الخوالى يراود كل بنى الأندلس فيسطرون فى هذا المعنى صور رائعة سجلت لهم تاريخا يحكى سيرة ، ومسيرة لحياة رغدة راهفة، ثم لحياة بائسة دامعة ، بعد أن أرغموا على ترك الوطن ، والبعد عن الديار، ومفارقة الأهل والأحباب فلم يجدوا سلوى ينفتون فيه ما يعتلج بصدورهم، وما تئن به قلوبهم غير أبيات شعرية هى قطعة من زفرات

⁽٤٧) المغرب في ضمير أدبائه-تأليف مجموعة من الباحثين - والفقرة من مقال "وحدة البحث في الأدب المغربي القديم "- بقلم جمعة شيخة - ط - المطبعة المغاربية - ٢٠٠٥ -ص ٧١ ص ٤٨) المرجع السابق -نفس المقال ص٨٥٠



⁽٤٦) الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين ص ٢٥

حارقة على وطن مفقود ،ومجد غابر فإذا بهم يصفون" الغربة بالموت في الحياة عند بعض الشعراء ،وعند آخرين بكونها أفظع من الموت ." (٤٩)

"ذلك أن الفرد الأندلسي ميال بطبعه إلى الألفة ،يكره الابتعاد عن وطنه وأهله وأي تغير في نمط حياته يعرضه لهزة نفسية ،وقلق مستمر "(٠٠)

ما جعل لشعر الغربة لدى الأندلسيين مكانة مميزة في النقد العربي "إن معالجة هذا الموضوع في الشعر الأندلسي تكشف عن تجارب عميقة وشاملة فيه ،تعلو به إلى مستوى الشعر العالمي ،فيتخطى الظرفيات الضيقة ليعانق كل ما هو خالد وشامل في الوجدان البشرى "(١٥)

⁽٥١) المرجع السابق ص ١١٤



⁽٤٩) المرجع السابق – مقال بعنوان "الزمان والمكان في الشعر الأندلسي-بقلم د- فاطمة طحطح ص ١٠٨

⁽٥٠) المرجع السابق - نفس المقال ص١٠٧

الفصل الثاني

شعر الغربة عند المعتمد الأفكار والمعانى



تنوعت معانى الشاعر التى عبر فيها عن محنته، ومعانته فى البعد عن وطنه وحنينه إليه ما بين الشكوى ،والحكمة ،والعتاب، وغيرها من خلال أبيات ترجمت عن قلب مكلوم وصدر مكظوم ،وحسرة على ماض تقطعت الصلة بينه وبين صاحبه "ولم يكن المعتمد هو الشاعر الوحيد الذى صور معاناته فى السجن عن طريق الشعر ،بل سبقه شعراء آخرون (٢٠)،كما لحقه شعراء أيضا ،وصور هؤلاء الشعراء معاناتهم عبر القريض ؛ فخلد ذكرهم لخلود شعرهم بصدق العاطفة ،ان الشعراء معاناته ،أو المحاباة ؛فكان الشعر نابضا من قلب مكلوم حركته المآسى ، واستثارته الشجون والذكريات "(٣٠)

أ اللحظات الأولى لمفارقة الوطن:

منذ أن فارقت قدم المعتمد أرض أشبيلية شعر بسم الغربة يستشرى فى جسده ،وأحس معاناته فكان أول ماأنشد عندما كان فى طريقه إلى العدوة ورأى الناس يخرجون إلى الاستسقاء فصور هذا قائلا:

خرج واليستقوا فقلت لهم .. دمعى ينوب لكم عن الأنواء قط الوا : حقيق في دموعك مقنع .. لكنها ممزوج المناع المن

فالدموع مصاحبة للشاعر منذ الوهلة الأولى لغربته عن وطنه دموع تسيل تنوب عن الأنواء إلا أنها دموع ممزوجة بدماء فلا تصلح للسقيا ألم يكف الشاعر أن يعبر عن بعده وحزنه بالدموع حتى تخالطها الدماء ؟

وكيف لا تمتزج الدموع بالدماء وهو السيد المهان ،والعزيز المخون الذي يحاول المحافظة على ما تبقى من عزة النفس حين رفض الخضوع ،والاستسلام وتظاهر بالتماسك ،ورفض نصيحة بعضهم أن الخضوع سياسة حتى يرق له قلب يوسف بن تاشفين فيعفو عنه :

الساتماسكت الدموع بوتنبه القلب الصديع

⁽٥٣) تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد – عامر عبد الله – ص9 (٥٤) الديوان ص 9



⁽٥٢) لمزيد من التفصيل راجع – شعراء وراء القضبان – حسن نعيسـة -d دار الحقـائق— بيروت •

ق الوا: الخضوع سياسة : فليبد منك لهم خضوع والمستم النقيع وألد من طعم الخضو : عالمى فمسى السم النقيع وألد من طعم الخضو : عالم ملك ي وتسلمنى الجموع إن يسلب القوم العدا : ملك ي وتسلمنى الجموع فالقلب بين ضلوعه : لم يسلم القلب الضلوع لم أستلب شرف الطبا : ع أيسلب الشرف الرفيع قد رمت يوم نزالهم : ألا تحصينى الدوع (٥٠٠)

"ونستطيع القول: إن أشعار المعتمد الشاكية ،هـى التـى حركـت مشاعر المؤرخين ،وحملتهم على الوقوف بجانبه ؛التى غدت مأساة المعتمد حديث الناس عامة، يتلقونها في مختلف الأقطار "(٢٥)

ب ـ شكوى الدهر :

وكان وقع الخبر على نفسه شديد الأثر غربة، وأسر ، وسبجن وملك قد ضاع، وتهشمت أركانه كل هذا جعل المعتمد في حيرة من أمره ، في دهشه من حاله ..يتساءل شاكيا باكيا كيف قلب له الدهر ظهر المجن، وغير الحال ما بين عشية وضحاها ، ويسأل ماذا فعل حتى يستحق هذا الجزاء :

أنى غلبت وكنت الدهر ذا غلب : للغسالبين وللسباق سباقا قلب النع غلبت وكنت الدهر ذا غلب : وكان عزم الأعداء طرقا قلب الخطوب أذلتنى طوارقها : وكان عزم الأخطار أرماقا (١٥٥) متى رأيت صروف الدهر تاركة : إذ انبرت لذوى الأخطار أرماقا (١٥٥)

شاعر استوى فى عينه الحياة والموت حتى تعجب ممن يدعو له بالبقاء ، وطول العمر وهو على هذه الحال من الغربة والألم والشقاء ،وتبدل الحال ،وتغير المآل فأى حياة تلك ،وأى سنوات عمر يقضيها الشاعر حتى يتمنى دوامها وبقاءها .

⁽۵۷) الديوان ۱۱۰



⁽٥٥) الديوان ص ٨٨

⁽٥٦) تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد – ص ١٥٥

دعا لى بالبقاء ، وكيف يهوى .. أسير أن يطول به البقاء ألي بالبقاء أروح من حياة .. يطول على الشقى بها الشقاء فمن يك من هواه لقاء حب .. فإن هواى من حتفى اللقاء أأرغب أن أعييش أرى بناتى .. عوارى ، قد أضر بها الحفاء (^٥٠)

يعتب الشاعر على الأيام التى قلبت له ظهر المجن، وبدلت طعم الحياة لديه، وكلما لاح له بصيص أمل من غيم الأفق ذهب هباء، وعاد يائسا بائسا من كشف الغمة،وزوال المحنة،فيعود إلى الشكوى مرارا وتكرارا لايجد غيرها سلوى له فى وحدته،وغربته.

تؤمل السنفس الشجية فرجة .. وتأبى الخطوب السود إلا تماديا لياليك من زاهيك أصفى صحبتها .. كنا صبحت قبل الملوك اللياليا نعيم وبوس ذا لنذلك ناسخ .. وبعدهما نسيج المنايا الأمانيا الأمانيا الأمانيا الأمانيا

وزاد من إحساس الشاعر بالغربة ما رآه من حال أسرته التى حكم عليها بالغربة معه فزادت همومه وقد هانت أسرته بعد أن كانت ،فزوجه "من ذوى البراعة فى الشعر والأدب ،تمثل كثير من مجالس الشعر والأدب ،وتضفى بجمالها وبارع خلالها،على تلك المجالس كثيرا من الروعة والسحر "(١٠)

إنها اعتماد الروميكية (^{۱۱)}التى قالت له ذات يوم فى محبسه :ياسيدى لقد هنا هنا فأنشد قائلا:

⁽٥٨) الديوان ص ٩٠

⁽٥٩) الديوان ص ١١٧

⁽٢٠) تراجم إسلامية شرقية وأندلسية - د- عبدالله عنان - ط - مطبعة الناجي ط- ٢ - صربعة الناجي ط- ٢ -

⁽٦١) إعتماد الرميكية: شاعرة أندلسية كانت جارية لرميك بن حجاج فنسبت إليه وآلت إلى المعتمد فتزوجها وأنجب منها المأمون والرشيد والراضي والمؤتمن وبثينة الشاعرة ماتت في أغمات بمراكش قبل المعتمد بأيام سنة ٤٨٨- الأعلام ج ١ ص ٣٣٤

"ولاشك أن معاناة أسرة المعتمد قد أسهمت فى التنغيص عليه ،وتكدير صفوه،إذ تعددت لديه دواعى الألم ،ومسببات الحزن ،والغم :فمن حياة ضائعة فى السجن ،إلى ملك زائل، ومن أبناء قتلوا أو شردوا ،إلى بنات جائعات عاريات ، وقد كان يؤلم المعتمد منظر بناته الناشئات فى ظلال النعيم وهن في الأطمار، يغزلن ليحصلن على القوت "(١٣)

كان هذا فى يوم عيد فشكى العيد لأنه ذكره بالأيام الخوالى ،ونبهه إلى واقع مرير يحياه حيث قال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا .. فساءك العيد فى أغمات مأسورا تسرى بناتك فى الأطمار جائعة .. يغزلن للناس ، ولا يملكن قطميرا(11)

وفى الغربة معاناة أخرى لدى المعتمد تتمثل فى عدم قدرته على العطاء بعدما تعرض له شعراء طنجة بكل طريق يطلبون المكافأة فقال لهم:

شعراء طنجة كلهم والمغرب نهيوا من الإغراب أبعد مدهب

ســألوا العســير مــن الأســير وإنــه ∴ بســـؤالهم لأحـــق مـــنهم فأعجـــب

لــولا الحياة وعـزة لخمية .. طي الحشا لحاكهم فـى المطـب

قــد كــان إن ســئل النــدى يجــزل وإن نــادى الصــريح ببابــه إركــب يركــب (١٥٠)

شتان مابين حالين مختلفين، حال الاستقرار والرفاهية، وحال القلق والمعاناة، والعوز .

⁽٦٥) الديوان ص ٩١



⁽٦٢) الديوان ص ١١٤

⁽٦٣) تجربة السجن ص ١٦٢ –١٦٣

⁽٦٤) الديوان ص ١٠٠

يحن الفارس إلى حياة الفروسية بكل ماتحتويه ،وما تنطوى عليه من مفردات الذكرى فينشد من وقت لآخر أنات الفارس الذى تغيرت عليه الأيام ، والليالي :

كــذا يهلــك الســيف فــى جفنــه : إلى هزكفــــى طويـــــل الحـــنين (٢١٠)

كل هذا الألم ...كل تلك المعاناة أوجدت أسئلة ملحة ..كيف هان على يوسف ابن تاشفين أن يصنع بالمعتمد كل هذا؟ كيف بلغت غلظة القلب وقسوته هذا المبلغ ؟ وكيف له أن يصنع بالمعتمد كل هذا ؟

ألم يأن له أن يرحم ،ويصفح عن عزيز قوم ذل؟ كان يكفيه من المعتمد نفيه عن موطنه فلما الأسر والسجن، والقيد في الأيدى والأرجل ؟

ألم يكن بينهما حلف في يوم من الأيام على محاربة النصاري وذاقا طعم النصر عليهم ؟

ألم يشفع للمعتمد عند ابن تاشفين ما كان بينهما من صفاء الود ،ودوام العشرة ،وحسن الصحبة ؟

هذه التساؤلات وغيرها حاول الدكتور أحمد أمين الإجابة عنها بعدما رمى ابن تاشفين بالقسوة ،ويردها امتثاله لفتوى مشايخ أجازوا له هذه المعاملة ، ويطرح تفسير آخر لهذه المعاملة وهو حب ابن تاشفين للأموال،وخيرات الأندلس، ووصف يوسف بأنه " بدوى جلف ،لا يفهم كثيرا من معانى الإنسانية "(٢٠)

وأرى أن استعانة المعتمد بالنصارى على حرب ابن تاشفين من أكبر الأسباب التى أثارت حفيظته تجاهه فقد كان المعتمد يؤدى الجزية صاغرا للنصارى مقابل حمايتهم له .

أى هوان رضيه المعتمد على نفسه ،ودينه ؟فأورثه الله ذل بعد عز ،ونقمة بعد نعمة ،وأمهله حتى أخذه (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وتَنْسزعُ

⁽٦٧) ظهر الإسلام – أحمد أمين – ط- دار الكتاب العربى – بيروت – ط-٥- ١٩٦٩ – ج٢ص ١٨٠



⁽٦٦) الديوان ص ١١٦

الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَسَيْءٍ قَدِيرٌ "(٢٨)

⁽٦٨) سورة آل عمران آية ٢٦



ب وصف الطبيعة :

فى مناظر الطبيعة ،وأشكالها سلوى لمن أراد ،وتسلية لمن أحب ،وقد وجد المعتمد فى مشاهد الطبيعة من حوله الصائتة ،والصامتة متنفس يبث فيه تضاعيف حزنه وألمه ،ويبعث فى نفسه الأمل ،ويذكره بالأيام الخوالى ،والذكريات الماضية فيترك روحه تهيم فى صورها ،ومناظرها ،وقلبه ينبض بنبض الطبيعة الهامس ،وأجوائها الحالمة .

يستحضر المعتمد من صور الطبيعة الصامتة صور قصوره (المبارك، والزاهى، والزاهر، والثريا،..)فيقول مخاطبا إياها في غربته:

بكسى المبارك فسى إثـر ابـن عباد ن بكسى علسى إثـر غـزلان وآسـاد

بكت ثرياه لاغمت كواكبها ن بمثل نوء الثريا الرائح الغادي

بكي الوحيد بكي الزاهي وقبته ن والنهر والتاج كل ذلة بعدى

ماء السماء على أبنائه درر ·· يالجة البحر دمتى ذات إرباد (١٩٠)

قصوره باكية شاكية كنفسه، كروحه التى فقدت الحياة ، فحق عليه أن يدعو لها بالبقاء ، والخير على الرغم من بعده عنها .

هى تلك التى طالما ذكرها ،وأصبحت مبعث الشجن ،والألم بعدما كانت مدعاة للسرور ،والبهجة .

قصوره مراتع شبابه ،شاهدة على أيامه الخوالى فما ينفك ذاكرها من هذا قه له:

غريب بأرض المغربين أسير ب سيبكي عليه منبر وأسير

وتندبــه البــيض الصــوارم والقنــا ... وينهــــل دمـــع بيـــنهن غزيـــر

سيبكيه في زاهيه والزاهر الندى : وطلابيه والعسرف تسم نكسير

إذا قيل في أغمات قد مات جوده ن فما يرتجى للجود بعد نشور

مضى زمن والملك مستأنس به ن وأصبح عنه اليوم وهو نفور

(۲۹) الديوان ص ۹۵



ب أى من الدهر المضلل فاسد ن متى صلحت للصالحين دهيور أذل ابــن مــاء الســماء زمـانهم ∴ وذل بنــي مــاء الســماء كــثير فما ماؤها إلا بكاء عليهم ن يفيض على الإكبار منه بحور فياليت شعرى هل أبيتن ليلة ن أمامي وخلفي روضة وغدير بمنبتــه الزيتــون موروثــه العــلا ن تغنـــي قيــان أو تـــرن طيــور بزاهرها السامي الندري جاده الحيا نو تشيير الثريا نحونا وتشير ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده في غيرورين والصب المحب غيرور تــراه عســيرا أم يســيرا منالــه ن ألا كــل مــا شـاء الإلــه يســير قضي الله في حمام وبعثرت نهناك منا للنشور قبور (٧٠)

من صور الطبيعة الصائتة في شعر ابن عباد مخاطبته سرب قطا هيج وجده وأثار من لواعج شوقه ما جعله ينشد قائلا:

777.

ألا عصم الله القطا في فراخها : فإن فراخم، خلتها الماء والظلل (١٧)

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بي نسوارح لا سبجن يعسوق ولا كبسل ولم تلــــك والله المعيــــذ حســـاده : ولكــن حنينــا أن شــكلي لهــا شــكل فاســرح لاشملـــى صــديع ولا الحشــا ∴ وجيـــع ولا عينـــاى يبكيهمـــا ثكـــل هنيئا لها أن لم يفرق جميعها ∴ ولا ذاق منها البعد من أهلها أهل وأن لم تبت مثلي تطير قلوبها ن إذا اهتز باب السجن أوصلصل القفل وما ذاك فما يعترينن وإنما وصقت الذي في جبله الخلق من قبل لنفسي إلى لقيا الحمام تشوف نسواى يحب العيش في ساقه حجل

⁽۷۰) الديوان ص ۹۸

⁽۷۱) الديوان ۱۱۰

ويتسلى بنوح قمرية تشاركه أحزانه ،ودموعه ،ويقدح نواحها في قلبه فيثير أشجانا لا تنتهى ...

فما لى لا أبكى أم القلب صخرة ∴ وكم صخرة في الأرض يجرى بها نهر (٢٧)

فى الغربة تتبدل المشاعر ،وتختلف عن سابق عهدها ،فللحياة مــذاق آخــر فذات يوم نعبت غربان بجوار المكان الذى أسر فيه الشاعر ثم ورد إليه نبأقــدوم بعض نسائه عليه فقال:

غربان أغمات لا تعد من طيبة .. من الليالى وأفنانا من السحر تظلل رغب فراخ تسكن بها .. من الحرور وتكفيها أذى المطر كما نعبتن لى بالفأل يعجبنى .. مخبرات به عن أطيب الخبر (٣٧)

فالشائع فى نعيب الغربان أنها نذير سوء ،ولكن مع الشاعر الأمر مختلف فقد كان معها البشرى بالزيارة المرتقبة ،فواكب الحزن فرحا ،واليأس أملا ،والموت حياة.

ج_ الفخر:

فى خضم الأحداث المتلاحقة يحاول الشاعر الهروب من واقعه المعاش إلى الماضى الجميل،وذكرياته الحلوة ،ولياليه العذبة ،فيعود إلى الوراء بخيال جامح ، ونفس طامحة ،ورؤيا ترى الوجود جميلا ،وعلى أوتار الذكرى قيتارة حانية تطمئن النفس ،وتجلو كروبها .

نظرة إلى حياة الأمس حيث الجاه ،والمجد ؛ "فتعود به الذكريات إلى الأيام الخوالى ،حيث القصور، والممالك ،والرعية والحشم وهو فى وسط ذلك كله ، كالبدر بين النجوم ،ترمقه العيون ،وتهفو إليه القلوب ،وتسعى إليه الوجوه .."(٤٠)

⁽۷۳) الديوان ص ۱۰۰



⁽۷۲) الديوان ص ٦٨

فينشد متنسما عبق الماضي الجميل:

شيم الآلى أنا منهم : والأصال تتبعه الفروع (٥٠) ويقول أيضا:

من عن المجد إلينا قد صدق .. ولم يلم من قال مها قال حق (٢٠) وقال يذكر مدة إمارتهم وعدد سنوات مجدهم:

حجج عشرا وعشر بعدها : وثلاث ين وعشرين نسق أشرقت عشرون من نفسها : وثلث للث نيرات تالق (۱۲۰۰۰)

"لاشك أن فخر الشاعر بنفسه وعشيرته أعطاه دفعة معنوية كبيرة أسهمت في تزويده بالصبر ،أوعلى الأقل بالتصبر على النكسات المتلاحقة التي توالت عليه تباعا ،فغدا الشاعر وكأنه لم يخسر كل شئ ...وقد وجد الشاعر في ذلك عزاءً كبيرا ،أسهم في رفع معنوياته ،حتى أخذ يستمع إلى الشعراء ،ويراسلهم شعرا ويعطيهم القليل مما عنده "(^^)

د_ العتاب:

يعاتب الشاعر فى غربته من كانوا سببا فىمعاناته ،لكنه عتاب الأبى الكريملا الذليل الخاضع،فحدث أن طلب من حواء بنت يوسف بن تاشفين خباء عارية (٢٩) فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فعاتبها بقوله:

هـــم أوقـــدوا بـــين جنيـــك نـــارا ... أطـــالوا بهـــا فـــى حشـــاك اســـتعارا أمـــا يخــــل المجـــد أن يرحلـــو ... ك ولم يصــــحبوك خبــــاء معــــارا فقـــد قنعـــوا المجـــد إن كـــان ذا ... ك وحشـــاهم منـــك خزيـــا وعـــارا(^^)

⁽۷٤) تجربة السجن ص ۱۷٦

⁽۷۵) الديوان ص ۸۸

⁽۷۲) الديوان ص ۱۰۹

⁽۷۷) الديوان ص ۱۰۹

⁽۷۸) تجربة السجن ص ۱۸۰

⁽ $^{(49)}$) العارية من أعمال البر ندب إليها الإسلام وهي إباحة المالك منافع ملكة غيره بلا عوض $^{(49)}$ فقه السنة $^{(49)}$ سابق $^{(49)}$ حاد الكتاب العربي $^{(49)}$ بيروت $^{(49)}$ منافع ملكة غيره بلا عوض $^{(49)}$

"فقد عهدنا الشعراء في أسرهم يبالغون في الاستعطاف ،وينظمون فيه القصائد الطوال ،بينما كانت هذه القصيدة هي الوحيدة التي عتب فيها المعتمد على يوسف عتابا ،أتبعه بمدح بسيط من غير استعطاف ولا تذلل، ومما يدعم هذا القول ،أن القصيدة ارتبطت بشكل مباشر بمناسبة واضحة ،وهي طلب العارية من حواء ،ومن الممكن القول إنه لولا هذه المناسبة لما قيلت القصيدة "(١٠)

هـ الزهد:

لم يفد العتاب في تغيير الحال، وترقيق القلب، والإحساس بمن يتألم لغربته ، وفقد الأهل والسلطان فليس أمام الشاعر سوى الزهد ، والصبر ، والتأسي بسنن السابقين لأخذ العظة ، والعبرة .

التعبير عن هذه الحال كثير في شعر المعتمد مثل قوله:

أكلما سنحت ذكرى طربت لها نهمست دموعك في خديك طوفانا

أمــا سمعــت بســلطان شــبيهك قــد 🗼 بزتــه ســوء خطــوب الــدهر ســلطانا(٢٠٠)

ليس أمامه سوى الاستسلام لقضاء الله وقدره ،والرضا بالمقسوم ،وتجرع كؤوس الصبر والدعاء .

وطن على الكره وارقب إثره فرجا : واستغنم الله تغنم منه غفرانا (٣٠) وقال أيضا :

نعيم وبوسوس ذا لنايا الأمانيا في الدنيا وصروفها:

أرى الـــدنيا الدنيـــة لا تــوانى ∴ فأجمــل فــى التصــرف والطــلاب

ولا يغررك منها حسن برد ن له غلمان من ذهب الذهاب

فأولها رجاء من سراب ن وآخرها رداء من تراب (٥٨)

⁽۸٤) الديوان ص ۱۱۷



⁽۸۰) الديوان ص ۹۷

⁽۸۱) تجربة السجن ص ۱۸۲

⁽۸۲) الديوان ص ۱۱۶

⁽۸۳) الديوان ص ١٤٤

"وأصبحت للمعتمد في معاناته قناعة تامة بأن النعيم والشقاء متلازمان تلازم الورد والآس في الشوك ،وما دام المعتمد قد ذاق نعيم الدنيا ،فلا بد له وأن يرى من شقائها شيئا"(١٨) فيقول:

من يصحب الدهر لا يعدم تقلبه \therefore والشوك ينبت فيه السورد والآس يمسر حينا وتحلولى مودته \therefore فكلما جرحت إلا انثنت تاسو $(x^{(v)})$

فى الشكوى متنفس لكروب النفس ،ومعاناتها بعد نظرة تأمل تجلو معها الحقائق ،ويتضح من خلالها الثوابت ،وحينئذ تأتى الموعظة ،والحكمة لتلخص التجربة ،وتبلور الموقف .

واللك يحرسه فى ظل واهبه ن غلب فى العجم أو شمم من العرب فى العجم أو شمم من العرب فحسين شاء الدى أتاه ينزعه ن لم يجد شيئا قراع السمر والقضب في المرقاء:

يشعر المعتمد فى نفسه قوة ما زالت آثارها موجودة فى قلبه ،وعزة تنطوى عليها حنايا صدره فيرى أنه ليس أقل قدرا ممن رثاهم الشعراء ،ومدحوا فيهم الخلال الحسنة ،والسجايا الطيبة ،وفقدوا بفقدهم الشيم الكريمة .

فخشى الشاعر أن يذهب ذكره أدراج الرياح فرثى نفسه (^٩٩) بأبيات أوصى أن تكتب على قبره بعد موته " ولكن المعتمد لم يصنع هذا الرثاء على طريقة من

⁽٨٩) رثاء النفس في الأدب العربي:عرف راء النفس في العصر الجاهلي ويمتازعلى قلة ما وصلنا منه بالصدق الفني من هذا قول بشر ابن حازم يرثى نفسه قائلا :أسائلة عميرة عن أبيهاخلال العيش تعترف الركابا ويمثل مالك بن الريب تجربة حية محاورها المرض والفقد – وفي الأندلس برع المعتمد بن عباد وابن خفاجة – انظر الرثاء في الشعر الأندلسي في عصرى المرابطيين والموحدين -د مهدى عواد -d وزارة الثقافة – الأردن -1.9



⁽٨٥) الديوان ص ٩٣

⁽٨٦) تجربة السجن ص ١٩٢

⁽۸۷) الديو ان ص ۱۰۷

⁽۸۸) الديوان ص ۲۷

يأسوا من حياتهم لمرض عضال أو أمل ضائع ،وإنما كان يرثى ملكه ،ويبكى دولته "(٩٠)

فأنشد حزينا:

قبر الغريب سقاك الرائح الغادى .. حقا ظفرت بأشلاء ابن عباد؟

بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت ن بالخصب إن أجدبوا بالرى للصادى

بالطاعن الضارب الرامى إذا اقتتلوا ن بالموت أحمر بالضرغامة العادى

بالـدهر فـي نقـم بـالبحر فـي نعـم نعـم بالبـدر في ظلـم بالصـدر في النادي(١٩)

⁽٩١) الديوان ص ٩٦



⁽٩٠) تجربة السجن ص ١٧٥

الفصل الثالث

شعر الغربة عند المعتمد الألفاظ والأساليب



الأسلوب هو الرجل ، وقطعة من نفسه ، ونفثة من روحه .

وقد تنوعت ألفاظ الشاعر ،وأساليبه معبّرة عن حالته النفسية في ظل البعد عن الوطن ،وكان للأساليب الإنشائية النصيب الأوفى في التعبير " فتمزق الشاعر بين الماضى المتحسر عليه ،والواقع المرفوض استدعى لغة إنشائية متوترة مشحونة بالانفعال والأساليب الطبية المتنوعة "(٩٢)

أ الأساليب الإنشائية:

ما أكثر أسلوب الاستفهام في شعر ابن عباد خارجا عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازى يعكس قدرة الشاعر على تصوير الانفعالات النفسية .

فيستنكر الشاعر أن يخضع لعدوه،ويستسلم له،وإن سلبه ملكه ،وأمواله ، وسلطانه ،إلا أنه لم يسلبه كرامته ،وماء وجهه من هذا قوله:

لم أستلب شرف الطبات ع أيسلب الشرف الرفيع ؟(٩٥)

وعندما تسلل اليأس إلى نفسه، وانقطع الأمل في العودة إلى الوطن يئس من الحياة وتمنى الموت عله يجد فيه الراحة:

ألـــيس المــوت أروح مــن حيـاة .. يطـول علــى الشـقى بهـا الشـقاء؟

فأراد من المتلقى أن يشاركه الرأى ،ويقر بما استقر فى نفسه من أن الموت فيه الراحة من شقاء الدنيا .

تتوالى استفهامات الشاعر معبرة عن صدق الإحساس ،ودهشة الشعور من الواقع الذي يرفضه ،ويبحث عن بديل له .

أأرغب أن أعييش أرى بناتي : عوارى قد أضر بها الحفاء ؟(١٤٠)

استفهام يحمل شحنة انفعالية من قلب مكلوم يجمع بين جرحين غائرين، غربة ،وحال بناته من فقر وعوز .

⁽۹٤) الديوان ص ١٣



⁽٩٢) المغرب في ضمير أدبائه-د فاطمة طحطح ص ١١٣

⁽۹۳) الديوان ص ۹۰

وعندما خاطب ابن حمديس (٩٥) وكشف له عن سوء حاله أمره بأن يقر بأن دوام الحال من المحال فقال:

برأى من الدهر المضلل فاسد ن متى صلحت للصالحين دهور؟(٢٩)

وقد يكون الاستفهام مقصود منه طلب الفهم بمعناه الحقيقى لغياب الرؤية أمام الشاعر، وتغير الحقائق فما عساه أن يسأل، وينتظر الإجابة علها تفسر له واقعا يعيشه بكل متغيراته من هذا قوله:

أكلما سنحت ذكرى طربت ن مجت دموعك في خديك طوفانا ؟

أما سمعت بسلطان شبيهك قد ن بزته سود خطوب الدهر سلطانا ؟(٧٠)

ومن الأساليب الإنشائية الموظفة فى خدمة المعنى ،وتوضيح الصورة أسلوب النهى استخدمه الشاعر فى ذم الدنيا ،وأهلها والتنبيه على أن من يركن إليها خاسر ؛ لأن من طبعها الغدر ،والخيانة حيث نبه على ذلك بقوله:

ولا يغررك منها حسن برد : له غلمان من ذهب الدهاب

فأولها رجاء من سراب : وآخرها رداء من تراب (۱۹۰

كما استخدم الشاعر الدعاء عندما أراد أن يرثى نفسه ،ويصف حاله في أبيات أوصى أن تكتب على قبره:

قبر الغريب سقاك الرائح الغادى . حقا ظفرت بأشلاء ابن عباد (**) كما دعا لسرب القطاحينما مربه فهيج شوقه إلى وطنه قائلا:

ألا عصم الله القطا في فراخها نصل فراخي خلتها الماء والظها الله والظال (۱۰۰۰)

⁽۱۰۰) الديوان ص ۱۱۰



⁽٩٥) ابن حمديس :عبد الجبار بن حمديس ولد في سرقوسة من جزيرة صقلية عام 40 كمن أصل عربي من عائلة محافظة فيها اه حظ من الثقافة الدينية -ديوان ابن حمديس - صححه وقدم له إحسان عباس - d- دار صادر - بيروت -d0

⁽٩٦) الديوان ص ١٣

⁽۹۷) الديوان ص ۱۱۶

⁽٩٨) الديوان ص ٩٣

^{(ُ}٩٩) الديوان ص ٩٦

ب الأساليب الخبرية:

نوَّع الشاعر في استخدامه للأساليب الخبرية فصدَّرها تارة بالفعل المضارع ،وتارة بالفعل الأمر ،وثالثة بالماضي .

ومن استخدامه للجملة الخبرية مُصدرة بالفعل المضارع عندما وصف واقعا يعيشه ، ويرفضه من هذا قوله:

وتندبه البيض الصوارم والقنا ن وينهل دمع بينهن غزير (١٠١١)

فقد شاركته السيوف ،والرماح بكاءه ،وعز عليه ما به من حرن ، وألم وهو الفارس المقدام والقائد السلطان ،والبكاء والحزن مستمران ما دام الحال لا يتغير .

كما استخدم الجملة الخبرية مصدرة بالفعل الماضى ليحكى عن حال كان في يوم من الأيام ،وحياة كان ينعم فيها بالسلطان والجاه ؛ فقال يذكر قصوره الأندلسية:

بكسى المبارك فسى إثـر ابـن عباد ن بكسى علسى إثـر غـزلان وآسـاد

بكت ثرياه لاغمت كواكبها ن بمثل نوء الثريا الرائح الغادى

بكى الوحيد بكى الزاهى وقبت . . والنهر والتاج كل ذلة بعدى (١٠٢) ومن استخدامه لفعل الأمر قوله :

إقنع بحظك في دنياك ما كانا ∴ وعز نفسك إن فارقت أوطانا(١٠٣٠)

فتوجه الشاعر آمرا المتلقى بالقناعة فيما قسم له من حظ الدنيا ،وأن يعزى نفسه إن فارق وطنه .

ج الاقتباس:

لم يعدم الشاعر الاقتباس من القرآن الكريم ،أو من الشعر العربى القديم مستضيئا بجمال الأسلوب القرآني من هذا قوله:

تسير إلى أرض بها كنت مضغة 🔀 وفيها اكتست باللحم منك عظام 🗥

⁽۱۰٤) الديوان ص ٤٤



⁽۱۰۱) الديوان ص ۹۸

⁽۱۰۲) الديوان ص ٩٥

⁽۱۰۳) الديوان ص ۱۱۶

ففيه اقتباس من قوله - تعالى - "ولقد خلقنا الإسسان من سلالة من طين"(١٠٥)

كما اقتبس من الشعر العربي مثل قوله:

فياليت شعرى هل أبيتن ليلة .. أمامى وخلفى روضة وغدير (۱۰۱) فهو مأخوذ من قول مالك بن الريب التميمي:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ب بجنب الغضى أزجى القلاص النواجيا د. ألفاظ ترسم صورة وتوضّح مشهد:

ما أكثر تلك الألفاظ الموحية في شعر المعتمد التي تكشف عن مدى إحساسه بنبض الكلمة ،وإيحائها النفسى فاللفظة ذات الجرس الشديد تستخدم في موطن الشدة ،والقوة فتترجم بدقة عن المشهد ،والإحساس ،واللفظة الرقيقة تستخدم في موطن الرقة ،والعطف ،فمن الأولى قوله :

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا : بل قد عمهان جهات الأرض إقلاقا (۱۰۰۰)
ومن الثانية قوله:

كلامك حرر والكلام غلام : وسحر ولكن ليس فيه حرام (۱۰۸)

وإن كان هذا ،وذاك من ملائمة اللفظ للمعنى مما يدل على أن أداة اللغة طيعة في يد الشاعر.

وكثير ما يُصور اللفظ مشهدا، ويوحى بمعان متعددة هى قطعة من نفس الشاعر ،وإنْ تلوَّن المشهد بظلال الحزن يفوح منه رائحة الحسرة ،والندم . فقد عاش الشاعر على أمل العودة إلى الوطن لكن القدر لم يمهله فتوفى قبل أن يتحقق له ذلك. جسد هذا الشوق بوضوح في قوله :

وإن لم تبت مثلي تطير قلوبها : إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل (١٠٩)

⁽۱۰۹) الديوان ص ۱۱۰



⁽١٠٥) سورة المؤمنون آية ١٢

⁽۱۰۶) الديوان ص ۹۸

⁽۱۰۷) الديوان ص ۱۱۰

⁽۱۰۸) الديوان ۱۱۳

وفى يوم من الأيام جاوزه سرب قطا ،فحلقت روحه إلى الفضاء الواسع ،وراوده أمل العودة فمثَّل له اهتزاز باب السجن ،أوصلصلة القفل مؤشرا على الخروج ،وتحقيق أمل الحرية وهيهات له ذلك.

على أن أهم ما تتصف به ألفاظ المعتمد " الوضوح الذى يدل على وضوح التجربة لدى الشاعر ،فلا تعثر فى شعره على غموض ولا التواء ومما ساعد على هذا الوضوح الوحدة فى شعره؛ فكل مقطوعة ،أوقصيدة تتحدث عن خاطر مر بنفس المعتمد ،وتتضافر الأبيات فى إيضاح هذا الخاطر وتسير فى اتساق ونظام "(١١٠)

⁽۱۱۰) الديوان – مقدمة – ص٣٠



الفصل الرابع شعر الغربة عند المعتمد صور ومشاهد



الصورة جوهر المعنى ،وجُلَّ المضمون ،وموطن التأثير يتوسل بها الشاعر اليؤثر في الآخرين بأسلوب فنى رفيع ...فإذا ما أعياه التعبير المباشر عن نقل انفعالاته لجأ إلى الصورة لتسعفه في رسم ملامح تجربته ،فالصورة هي الخيال ،فلا يمكن للشاعر أن يبدع إلا من خلالها ،فهي قطب رحى القصيدة "(١١١)

وقد استطاع المعتمد أن ينقل من خلال صوره الشعرية معاناته في الغربة ينفث من خلالها زفرات صدره الملتاع، فكانت صوره قطعة من نفسه الحزينة مظللة بألوان الكآبة واعتمد في توليد الصور علي خيال الشاعر الجامح يحلق عاليا في دروب الماضي ليصدم بآلام الواقع المرير " والخيال عنصر فعال في توليد الصور الشعرية ، فبه يؤلف الأدباء صورهم التي تختزن في عقولهم ، وتمكن في مخيلاتهم "(١١٢)

أ. صورة الإنسان الحزين الباكي:

رسم المعتمد لنفسه في قصائده صور توضح ملامحه التي تشكلت بفعل الغربة والحنين إلى الوطن ،فرسم لنفسه صورة الإنسان الباكي الحزين "علي واقعه البائس ، يزرف الدموع بغزارة وكأنها المطر ، بل يري في دموعه غنا عن المطر؛ لذا يستغرب من القوم الذين رآهم خارجين للاستسقاء ، مع العلم أن في دموعه الكفاية"(١١٣)

خرجـــوا ليســـتقوا فقلـــت لهـــم : دمعـــي ينـــوب لكـــم عـــن الأنـــواء قـــالوا حقيـــق في دموعـــك مقنــع : لكنهــــا ممزوجــــة بـــــدماء (۱۱۱۰)

فقد صاحبه الحزن ورافقته الدموع منذ اللحظة الأولي التي فارق فيها وطنه عندها تشكلت ملامحه الجديدة التي اعتبرها غريبة علي نفسه لم يألفها من قبل ملامح ظللها الحزن والألم والحسرة على الماضى السعيد

أمالإنسكاب السدمع في الخدر رائحة ... لقد آن أن يفني ويفني به الخد(١١٥٠)

⁽١١٥) الديوان ص ٩٤



⁽۱۱۱) الصورة الشعرية عند المعتمد بن عباد – حسناء أقدح – مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٨ العدد الثاني ٢٠١٢

⁽١١٢) الاغتراب والحنين بين المشارقة والأندلسيين – مها الزهراني– ص ٢٨٣

⁽١١٣) تجربة السجن – عامر عبد الله –ص ٣١٤

⁽١١٤) الديوان ٨٩

بد صورة الزاهد اليائس:

كما رسم لنفسه صورة الإنسان الزاهد فى متاع الدنيا ،الراضى بقضاء الله وقدره المستسلم لمجريات الأمور القانع بأنه لا خلاص له مما هو فيه إلا بالعودة الى الله والدعاء إليه:

إقنع بحظك في دنياك ما كان .. وعز نفسك إن فارقت أوطانا فالله من كل مفقود مضى عوض .. فأشعر القلب سلوانا وإيمانا (١١٦٠)

حتي يأس من الحياة ، وتمنى الموت ،ورفض أن يُدْعَى له بالبقاء واستنكر عليهم ذلك فلا طعم للحياة والروح غائبة تهيم حيث مراتع الماضي الجميل وذكرياته العذبة .

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى .. أسير أن يطول به البقاء ؟ أليس المسقى بها الشقاء ؟ أليس المسوت أروح من حياة .. يطول علي الشقاء ؟ فمن يك من هواه لقاء حب بن فإن هواى من حتف اللقاء (١١٧)

هذا الزهد ، وتلك القناعة بأن الواقع لن يتغيرجعله يرسم لنفسه صورة للإنسان الصابر الثابت المحتسب عند الجزع الرافض للخضوع بكل أشكاله وألوانه.

لما تماسكت الدموع : و<u>تنبه القاب الصديع</u> قالوا الخضوع سياسة : فليبد منك لهم خضوع وألد من طعم الخضو : ع علمي فمسي السم النقيم (١١١٠) جم صورة الوفي للذكر دات:

كما كان حريص أن يرسم لنفسه صورة الشخص الوفي لـذكريات الماضـي الجميل فيذكر قصوره الشوامخ حزينة تبكي لفراقه وتحزن لحزنه:

⁽۱۱۸) الديوان ص ۸۸



⁽١١٦) الديوان ص ١١٤

⁽۱۱۷) الديوان ص ٩٠

بكي المبارك في إثـر ابـن عبـاد .. بكـي علـي إثـر غـزلان وآسـاد بكـت ثريـاه لا غمـت كواكبهـا .. بمثــل نــوء الثريـا الغـادي بكــي الوحيـد الزاهـي وقبتـه .. والنهـر والتـاج كـل ذلـة بعـدي (۱۱۱) دــ صورة الغدر والغيانة :

ولم ينس في خضم هذه الأحزان أن يرسم صورة لأعدائه ومن حكموا عليه بالغربة والبعد عن الوطن صورهم بصورة الغدر، والخيانة وعدم الوفاء بالعهد "

الذين خدعوا المعتمد وغدروا به مع أنه لم يقصر في واجبهم بل إنه قطع القفار والبحار ؛ بشوق إليهم ،ورغبة فيهم ، وقد توطدت علاقته بهم عندما كانوا إخوة

سلاح ، فحاربوا العدو معا"(١٢٠)

ولأنه يبحث عن الحياة في غير وطنه فتأكد من فقدها إذ به ينفث بقايا الروح في الموجدات من حوله مشخصا بعضها ومجسدا البعض الآخر.

هــم أوقــدوا بــين جنبيــك نـــارا 🔀 أطــالوا بهــا فــم، حشــاك اســتعا, ا (۱۲۱)

من أكثر الصور تشخيصا في شعره صورة الدهر الذي قلب له ظهر المجن، وغير طعم الحياة لديه حيث قال:

يمـر حينا وتحلو لى حوادثـه : فكلما جرحت إلا انثنت <u>تاسو</u>^(٢٢١)

تلك الحوادث التى جعلت صدر المعالى يضيق حزنا ،وكمدا على ملك تبدلت حياته من عز إلى ذل ،ومن حياة إلى موت ،ومن استقرار إلى تشرد وضياع .

قد ضاق صدر المعالى إذ نعيت لها .. وقيل إن عليك القيد قد ضاق (٣١٠) وقوله مخاطبا دار النوى والبعد:

دار النوى كم طال فيك تلددى : وكم عقبتى عن دار أهيف أغيد

⁽۱۱۹) الديوان ص ۹۰

⁽١٢٠) تجربة الأسر والسجن ص ٣٢٠

⁽۱۲۱) الديوان ص ۹۷

⁽۱۲۲) الديوان ص ۱۰۷

⁽۱۲۳) الديوان ص ۱۱۰

^{*} TTTO }

لكنها الأقدار تردى بلا ظبا : وتصمى بلا قتل وترمى بلا يد (۱۲۱ وقوله:

من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه .. والشوك ينبت فيه الورد والآس (۱۲۰) وقوله:

أبى الدهر أن يقنى الحياء ويندما .. وأن يمحو الذنب الذي كان قدما (٢٢١) وأيضا:

حنـــق الـــدهر علينــا فسـطا : وكــذا الــدهر علــي الحــر حنــق(١٢٧)

يصف الدهر بأنه جائر، يُذل ويُبكى، يسلب ما أعطى ، ويحنق على الإنسان ، ديدنه التقلب ، والتبدل، ويرمى ، ويردى ، ويصمى بلا قتل، وقلما يأسو إذا جرح.

حقيق بالشاعر أن ينأى بنفسه عن مثل هذه الأوصاف التزاما بقول النبى الكريم الذى نهى عن سبِ الدهر فى حديث قدسى "لاتسبوا الدهر فإن الله قال :أنا الدهر ،الأيام والليالى لى أجددها وأبليها وآتى بملوك بعد ملوك (١٢٨)

ولعل هذا يعكس عدم تمكن الإيمان في قلب الشاعر ،وعدم الثبات عند الشدة.

هـ صورة الحزن يغلف مظاهر الطبيعة:

ما أجمل أن يبثّ الشاعر تضاعيف حزنه في صور الطبيعة ،ومشاهدها فإذا بها تشاطره أحزانه ،فأضحت شاكية باكية .

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكر .. مساء وقد أخنى على إلفها الدهر بكت أن رأت إلفيا المسلم وكر .. يقصر عنها القطر مهما همى القطر وناحت لم ترق دمعا وأسبلت عبرة .. وما نطقت حرفا يبوح به سرواناحت بسرها فقل .. وما نطقت حرفا يبوح به سرواناحت بسرها فقل ..

⁽۱۲۸) الحدیث فی – فتح الباری بشرح صحیح البخاری – ابن حجر العسقلانی ط- بیت الافکار الدولیة – الأردن ج ۱۰ – ۱۸۰ مسند الإمام أحمد بن حنبل ط- مؤسسة التاریخ العربی – دار احیاء التراث العربی ج ۱۶ – ۱۳۰ ا



⁽۱۲٤) الديوان ص ٩

⁽١٢٥) الديوان ص ١٠٧

⁽١٢٦) الديو ان ص ١١٤

⁽۱۲۷) الديوان ص ۲۲

للنجوم الزهر تبكيهما معى نا لللنجوم الزهر تبكيهما معى الناها فلتحزن الأنجم الزهر الأنجام الزهر الأنجام الناها فلتحارب الأنجام الناها ال

نوح الحمامة يقدح فى نفس الشاعر فيوازن بين حاله ،وحالها فقد تشابها أنينا،وحزنا، كانت لها حياة وروح،وكان له مثلها وربما أكثر ،ولكن لمن تشكو، ولمن يشكو الشاعر .

أما هى فقد ناحت،وباحت،واستراحت أمّا هو فلن يبكى ولن يبوح حتى يستريح سيبقى فى صدره كلم غائر، وفى عينيه دمعة حائرة، وفى قلبه أنين يريد أن يُطْلَق سراحه حتى يستريح، وأنّى له ذلك ؛ فالجرح غائر والمصاب جلل والحزن دفين .

"هذا اللون من التصوير لدى المعتمد بالجمع بين مظاهر الحياة ،أو توحيد الظواهر الكونية في نسق واحد ،جعلها تنخرط في علاقة شعرية موحدة "(١٣٠) و- صور فيها حركة ولون :

أضاف الشاعر إلى هذه الصور التشخيصية عناصر أخرى كانت سببا فى توضيح الصورة ،وظهور المشهد ،والتعبير الدقيق عن الإحساس .

فكانت الحركة مصاحبة لبعض الصور فبعثت فيها الحياة والروح. "والصورة الحركية تخلف آثارا مشعة في التعبير الصورى الأنها تقوم على الحياة النامية العضوية بأبعادها الغائرة وعلاقاتها العديدة المتشابكة "(١٣١)

ســـوارح لاســـجن يعـــوق ولا كبـــل	$\ddot{\cdot}$	بكيــت إلى ســرب القطــا إذمــررن بـــى

هنيئا لها أن لم يفرق جمعها .. ولا ذاق منها البعد من أهلها أهل وأن لم تبت مثلى تطير قلوبها .. إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل (۱۳۲)

أمله متعلق بصوت باب السجن،وصلصلة القفل عله يحمل إليه إشراقة أمل تحياها روحه عل فيها الخلاص مما هو فيه وإيذانا بالعودة إلى الوطن.

⁽۱۳۲) الديوان ص ۱۱۰



⁽۱۲۹) الديوان ص ٦٨

⁽١٣٠) الصورة الشعرية عند المعتمد بن عباد ص ١٤

⁽١٣١) المرجع السابق ص١٦

فالنفس متشوقة متطلعة إلى حصول الأمل الذى يراودها ليل نهار أمل فى الخلاص وآخر فى العودة .

أما تعبيره عن الألوان فقد غلب الأسود على غيره ؛ لأنه الأمثل للتعبير عن حياة الغربة والبعد عن الوطن فالألوان كلها أصبحت واحدة ،وإن تغيرت فإنها لا تعبر إلا عن إحساس دفين بالحزن والألم "والقتامة والمصائب والذنوب وهو رمز لأيام الحزن والألم لنوائب الدهر "(١٣٣).

أكلما سنحت ذكرى طربت لها :. مجت دموعك فى خديك طوفانا أما سمعت بسلطان شبيهك قد :. بزته سود خطوب الدهر سلطانا (۱۳۴)

فالخطوب المؤلمة لا تكون إلا سودا ، هكذا أثرها فى النفس والقلب ،فهو يسلى نفسه بأن هناك من دارت عليه الدائرة وقلب له الدهر ظهر المجن ، وليكن فيمن جاءوا قبله ومن سيأتوا بعده العبرة والعظة والتأسى والتسلى ، قال تعالى "وتلك الأيام نداولها بين الناس "(١٣٥).

وقد يمتزج الأسود بالأبيض عند ذكر الماضى بلياليه البيضاء الناصعة ، والحاضر بأيامه السوداء القاتمة ، وشتان بين حال وحال ، وحياة وموت .

ألاحـــى أوطــانى بشــلب أبــا بكــر .. وســهلن هــل عهــد الوصــال كمــا أدرى وســلم علـى قصـر الشـراجيب عـن فتــى .. لـــه أبـــد أشــواق إلى ذلـــك القصــر

منازل آساد وبين نواعم ن فناهيك من غيل وناهيك من خدر

وكم ليلة قد بت أنعم جنحها .. بمحصية الأرادف مجدبة الخصر وبيض وسمر فاعلان بمهجتى .. فعال الصفاح البيض والأسل السمر (١٣٦)

واللون الأحمر لا يعنى للشاعر في غربته إلا الفراق، والموت والدم الذي امتزج بدموعه وهو في طريقه إلى أغمات حيث قال:

⁽۱۳۲) الديوان ص ۱۱



⁽١٣٣) الصورة الشعرية عند المعتمد ص ١٩

⁽۱۳٤) الديوان ص ۱۱۶

⁽١٣٥) سورة آل عمران جزء آية ١٤٠

خرج واليستقوا فقلت لهم : دمعى ينوب لكم عن الانوار قالت المنوب لكم عن الانوار قالت المنوب الكناب المنوب الكناب المنوب الكناب الك

فكيف يصلح للسقيا دمع على غزارته ممزوج بدم ؟ ، فقد أفسد الدم ماء العيون فما يزرفه الشاعر من دموع تقدح في نفسه وتلهب قلبه ، فيسيل الدم غالبا على الماء .

فالحزن في النفس أكبر من أن يعبر عنه مجرد دمع ، بل الأثر أشد وأوقع ، ولهذا كان التعبير عنه أشد وأفظع .

ز صور ملونة بالمحسن البديعي :

وقد كان للمحسنات البديعية دورً في رسم الصورة ،والتعبير عن المشهد ملونة بظلال الغربة القاسية ،والأيام الحزينة .

من هذا قوله مستخدما الجناس الناقص لتوضيح الصورة ونقل الإحساس: السيس المسوت أروح مسن حياة : يطول على الشقى بها الشقاء (١٣٠٠) وفيه أيضا طباق يوضح المعنى بالتضاد بين (الموت والحياة)

كما كان للترصيع (۱۳۹ دوره في عرض المتناقضات في ثوب واحد فيظهر بذلك المعنى ،ويتضح بما لا يتضح به غيره من هذا قوله :

تبدلت من عنز ظل البنود : بنذل الحديد وثقال القيود فوازن بين (بذل الحديد)و (تقل القيود)

كما استخدم المقابلة بين المشاهد في قوله:

ذل وفق رأزال عسرة وغنى نعمى الليالى من البلوى على كثب (ننه فقابل بين حالين ،بين ماض جميل ،وحاضر أليم فى (ذل وعرة) و (فقر وغنى)

⁽۱٤۰) الديوان ص ۳۸



⁽۱۳۷) الديوان ص ۸۹

⁽۱۳۸) الديوان ص ۹۰

⁽¹٣٩) الترصيع :ضرب من السجع فيه يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية جغية الإيضاح – عبد المتعال الصعيدى –ط- مكتبة الأداب ٢٠٠٠م ج٤ ص٨٢

واستعان بمراعاة النظير (١٤١) في قوله:

فم ا ماؤه الا بكاء ن يفيض على الأكباد منه بحور (۱۴۲) فذكر كلمة (ماء)ثم ذكر ما له علاقة به (يفيض بحور)

يلاحظ أن هناك خاصة مَيَّزت تلك الصور على اختلاف أساليبها ،وطرقها وهي طابع الحزن والألم والأجواء النفسية الكئيبة التي يبحث صاحبها عن بصيص أمل يلوح من هنا أومن هناك .

وفى كل مرة يخيب الأمل ،وتتبدد الأحلام وتضيع سدى فما تفتأ روح الشاعر، وقلبه النابض يبحث عن نور أمل جديد تتجدد معه روحه ،ويطمع فى تحقيقه ، والنتيجة واحدة فى كل مرة لا تتغير حتى يئست النفس من تغيير الحال ،والعودة إلى ما كان .

⁽١٤١) مراعاة النظير :أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد - بغية الإيضاح - جء عص ١٤

⁽۱٤۲) الديوان ص ۸۰

الفصل الخامس شعر الغربة عند المعتمد الوزن والإيقاع النغمى



الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة (۱۴۳)، وموسيقى الأبيات تكشف عن شعور نابض ، وإحساس حى ربما لا تكشف عنه الألفاظ ، والأساليب أو الصور والأخيلة .

نوَع المعتمد في موسيقاه تبعا لحالته النفسية التي غلب عليها الحزن فباتت قصائده تعزف على قيثارة إيقاعها النغمى الحزين الذي يمثل قطعة من نفس صاحبها .

أ إيقاعات بحر الكامل المجزوء:

لك أن تقف عند هذه الأحاسيس الحزينة في قوله:

لما تماسكت الدموع \therefore وتنبه القلب الصديع قصالوا الخضوع سياسة \therefore فليب د منك لهم خضوع وألب فراعت وألب من طعم الخضو \therefore عالمي فمي السم النقيع $(11)^2$ وَ الله مَ الله مَ الله مَ الله على أراس كَ تَ دُ دَ مَ وَ عُ م م س ت ف ع ل ن/م ت ف ع ل ا ن وَ مَ م ص دَ ي ع ع و ت ن ب ْ بَ هَ ل ْ ل بَ ص ْ ص َ دَ ي ْ ع م ت ف ع ل ن /م س ت ف ع ل ا ن م ت ف ع ل ا ن

فوقع أنغام موسيقاه على إيقاعات بحر الكامل المجزوء (متفاعلن) مرتان فى كل شطر تفعيلة تغلب الحركات فيها السواكن ،ويعطى هذا إشارة لافتة للوقت الذى قيلت فيه هذه القصيدة عندما هوجمت إشبيلية فخرج الشاعر مدافعا عن وطنه ،وأهله بينما أشار عليه بعض وزرائه بالخضوع،والاستسلام ،فأبت نفسه قبول ذلك ،ورفضت أن تخضع وتستعطف من يراهم دونه منزلة ،ومكانة فإذا بالحركات في التفعيلة تدل على تحرك نفسه بالرفض التام وعدم الموافقه على ما أشار به

⁽١٤٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده – ابن رشيق القيرواني – تحقيق د – مفيد قميحه -4 دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ج ١ص ٩٩ الكتب العلمية م ٨٨ الديوان ص ٨٨



الرفقاء من الذل والاستكانة ،وإظهار الانكسار بينما تحاول السواكن أن توقف تورة الشاعر ،وتكبح جماح نفسه ،ولكن هيهات لها أن تفلح .

واختارت نفسه الموسيقى القصيرة النفس متمثلة فى المجزوء منها بدلا من التام ؛ لأن الموقف لا يحتمل تطويلا ،وإسهابا ؛ فالأحداث متوالية ،والمواقف متلاحقة ،وعلى الشاعر أن يدير المشهد كما يراه فهو البطل ،وأسرته أشخاص متعاونون فى رسم الصورة والمشهد.

بد إيقاعات بحر الكامل التام:

ونفس الإيقاع النغمى تجده مصاحبا لحالة نفسية مغايرة عندما وصل الشاعر إلى (العدوة) فصادف وصوله خروج الناس للاستسقاء فوقف الشاعر متأملا حالهم، وحاله موازنا بين الحالين مخاطبا إياهم:

خرجوا ليستقوا فقلت لهم .. دمعي ينوب لكم عن الأنواء (۱۵۰)

خَرَجَ وْ لَ يَ سْ اللَّ قَ وْ فَ قَ لْ اللَّ لَ هَ مْ

م ت ف اع ل ن / م ت ف ع ل ن / م ت ف

دَمْ عَ يْ يَ نَ وْ / بَ لَ كَ مْ عَ نَ لْ / أَ نْ وَاْءَ يْ

م س ت ف ع ل ن / م ت ف اع ل ن / م س ت ف ع ل

هنا وقف الشاعر متأملا فأتم تفعيلة البحر ليحكى،ويخاطب ،ويقارن ويصف ، وينفث بعضا من أحزان نفسه ،وجاءت تفعيلة الضرب مقطوعة (١٤١٠) ليقطع الشاعر النظرة ،والتأمل ويستأنف المسير حيث مكان مجهول يتم إيداعه به ليقضى بقية سنوات عمره .

ج إيقاعات بحر الوافر:

وقد تعنى الإيقاعات فرحا ،وسرورا كما هو مشهور عنها إلا أنها تبدلت بين يدى الشاعر كتبدل حاله ،فهذه إيقاعات بحر الوافر (مفاعلتن-مفاعلتن-فعولن)

⁽١٤٦) القطع: حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله – المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر – إعداد د- إميل بديع يعقوب -ط- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط- ١ - ١٩٩١م ص ٣٧٧



⁽١٤٥) الديوان ص ٨٩

إيقاعات تلائم الغناء ،والأثاشيد،ولكنه الغناء الحزين فالشاعر بائس يائس يتمنى الموت خلاصامما هو فيه وينكر على من يدعو له بالعمر الطويل فيقول:

دعالى بالبقاء وكيف يهوى ن أسير أن يطول به البقاء (۱٬۱۰۰)

دَعَ أَلَ يُ بَ لُ لِ بَ قَ أَعَ وَكَ يُ لِ فَ يَ هُ وَيُ

م ف اع ل ت ن /م ف اع ل ت ن / ف ع و ل ن

أُسَ يُ رَنْ أَنْ / يَ طَ وْلَ بَهَ لُ / بَ قَ ا عَوْ

م ف ا ع ل ت ن / م ف ا ع ل ت ن / ف ع و ل ن

غناء حزين عروض وضربه مقطوفان (۱۴۸) فكيف يحيا مع هذا الحزن الشديد الذي قطف معه كل أسباب السعادة والفرح.

د إيقاعات بحر البسيط:

ومع تذكر الأيام الخوالى يبسط الحديث ،ويطيل؛ لأنه قريب من النفس تأنس به ،ويأنس بها فهو حديث الذكريات الحلوة ،والأيام الجميلة حيث النافورات الفوارة ، والجوارى ،والغناء ، والشرابمفردات تعنى بالنسبة للشاعر الكثير :

بكى المبارك فى إثر ابن عباد .. بكى على إثر غزلان وآساد (١٤٩) بكى المبارك فى أرْ رُبُ نُ عَ بُ / بَ أُ دَى الله عَالَى الله عَلَى الله عَالَى الله عَلَى الله عَالَى الله عَلَى الله عَلَى

م ت ف ع ل ن / ف ع ل ن / م س ت ف ع ل ن / ف ا ع ل ب ف ع ل ن / ف ا ع ل ب كَ يُ عَ لَ يُ / إَ تُ رَ غَ زُ / لَ نَ نُ وَ أَ / أَ سَ ا دَ يُ

م ت ف ع ل ن / ف ا ع ل ن / م س ت ف ع ل ن / ف ا ع ل

فالشاعر يطيل في الحديث ،ويبسط القول فيه ،فختارت نفسه إيقاعات تحقق له ما يريد (مستفعان – فاعلن) أربع مرات في كل شطر ممثلة إيقاعات بحر

⁽١٤٩) الديوان ص ٩٥



⁽١٤٧) الديوان ص ٩٠

⁽¹ $\xi \Lambda$) القطف :اجتماع الحذف مع العصب – المعجم المفصل في علم العروض والقافية – ص $\pi V \Lambda$

البسيط ،وغلف القطع العروض والضرب ،فالواقع أليم يقطع حبل ذكرى الماضى المتصل لينتبه الشاعر فيجد نفسه ،وقد تغير به الحال .

نفس الإيقاع النغمى ،ومع نفس حال العروض والضرب تلقاه عندما يرتسى الشاعر نفسه بعدما شعر بدنو أجله فأراد أن يخلد مآثره بعدما أدرك أنه لا راث يرثيه ،وهو الشريف الرفيع النسب فقال:

قـبر الغريب سـقاك الـرائح الغـادى : حقـا ظفـرت بأشـلاء ابـن عبـاد (۱۰۰۰) \ddot{g} \ddot{f} \ddot{f} \ddot{g} \ddot{f} \ddot{f} \ddot{g} $\ddot{g$

ولإيقاعات بحر الطويل نصيب لا بأس به فى شعر الشاعر هذا الإيقاع النغمى الذى لا يعرف غير صورة التمام عبر الشاعر من خلاله عن صورة من صورة الطبيعة الصائتة عندما شاهد سرب قطا حر طليق يجوب الآفاق سعيدا ؛ فبكى بعد أن هانت عليه نفسه ،وعزت عليه غربته :

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بى \therefore سوارح لا سجن يعوق ولا كبل (۱۰۰) ب كَ يُ تَ / أَ لَ يُ سَ رَ بَ لُ / قَ طَ اْ إَ ذُر مَ رَ رُ نَ بَ يُ فَ عَ وَ لَ مَ مَ رَ رُ نَ بَ يُ فَ عَ وَ لَ لَ مَ مَ لَ مَ فَ اع لَ ن فَ عَ وَ لَ نَ مَ مَ فَ اع لَ ن سَ وَاْ رَ / حَ لَ اُ سَ جَ نَ نُ / يَ عَ وْ قَ / وَ لَ اْ كَ بَ لَ وْ فَ عَ وَ لَ لَ مُ فَ اع ي لَ ن مَ فَ اع ي لَ ن مَ فَ ع و ل ل م فَ اع ي ل ن في عول ن موسيقى داخلية:

كما كان لإيقاعات الموسيقى الداخلية مدلولها الذى يرتبط بنفس الشاعر ، وحزنه خاصة عندما يوازن بين صورتين متقابلتين ،صورة الماضى المشرق ، وصورة الحاضر المظلم من هذا قوله :

⁽۱۵۱) الديوان ص ۱۱۰



⁽۱۵۰) الديوان ص ۹۶

تبدلت من عز ظل البنود : بذل الحديد وثقل القيود (١٥٢) وقوله أيضا:

بالدهر في نقم بالبحر في نعم .. بالبدر في ظلم بالصدر في النادي (١٥٣) وقوله أيضا:

فأولها رجاء من سراب ن وآخرها رداء من تراب راب فأولها داء من تراب راب فرد قافه في القافية:

كما تنوعت قوافى الشاعر بتنوع مدلولها النفسى فغلبت على أبياته القافية المطلقة على هذا الإطلاق ينفث من خلاله ظفرات صدره فتلتئم جراحه ،ويستعيد القدرة على الحياة .

فنلتقى وقافية الدال فى أكثر من موضع فى أبيات الغربة والحنين إلى الوطن منها قوله:

بكى المبارك فى إثر ابن عباد .. بكى على إثر غزلان وآساد (ئوا) وقوله:

قبر الغريب سقاك الرائح الغادى . حقا ظفرت بأشلاء ابن عباد (۱۵۰۰) وقوله:

أما لانسكاب الدمع في الخدراحة : لقد آن أن يفنى ويفنى به الخدرات الما لانسكاب الدمع في الخدراحة مخرجه أسنان لثوى (۱۵۷) فقد تعاونت والدال حرف مجهور إنفجاري مرقق مخرجه أسنان لثوى (۱۵۷) فقد تعاونت

والدال حرف مجهور إلفجارى مرفق محرجه استان لتوى مجهور إلفجارى مرفق محرجه استان لتوى الشاعر مابين أسر وسجن ،وغربة وتشرد مما دفع نفسه إلى



⁽١٥٢) الديوان ص ٩٤

⁽۱۵۳) الديوان ص ۹۵

⁽¹⁰٤) الديو ان ص ٩٥

⁽١٥٥) الديوان ص ٩٦

⁽١٥٦) الديوان ص ٩٤

الثورة وإنفجار الأحاسيس والجهر بها أمام الجميع عله بهذا ينفث بعضا مما يضمره صدره.

كما نلتقى مع حرف الراء قافية لبعض الأبيات والراء صوت تكرارى مجهور يمنح القافية إيقاعا موسيقيا خاصا من هذا قوله:

غريب بارض المغربين أسير : سيبكى عليه منبر وسرير (١٠٥٠) وقوله :

غربان أغمات لا تعد من طيبة .. من الليالى وأفنانا من السحر (١٠٥٠) وقوله:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ن فساءك العيد في أغمات مأسورا (١٦٠)

ففى البيت الأول سوف يتكرر البكاء من المنبر ،والسرير وفاء للشاعر بصوت جهور مرتفع عله بذلك يستطيع مالا يستطيعه الشاعر معبرا عن حاله .

وفى البيت الثانى نعيق الغربان يدوى فى الأسماع ضجيجا ،ونعيبا يشق الحجب فى أغمات ، وليلها الطويل .

وفى البيت الثالث مقابلة بين حالين حال العيد مع الغربة والأسر ، وحاله فى أحضان الوطن ،وفى ظل دفئ الأهل ،والأصحاب كان للأولى منها أكبر الأثر فلى نفس الشاعر ،ويريد أن يبلغ هذا الأثر إلى نفس المتلقى فيشارك الشاعر أحزانه من أجل ذلك أعاده وكرره على مسامعه .

كل هذا يجعلنا مطمئنين إلى القول بأن " قوافى الشاعر محكمة فى أبياتها ، لا تشعر فيها بقلق ولا اضطراب ،بل هى مستقرة مطمئنة ، تشعرك بقدرة الشاعر على تذليلها "(١٦١)

⁽١٦١) الديوان المقدمة - ص ٣١



⁽۱۵۸) الديوان ص ۹۸

⁽١٥٩) الديوان ص ١٠٠

⁽١٦٠) الديوان ص ١٠٠

الخاتمة

الغربة معاناة عاشها المعتمد، وغيره ...لكن المعتمد تمكن من تصويرها، وتجسيدها في شعره بصور ومشاهد تعبّر عنها بوضوح .

لاشك أنَّ رصد تلك الصور،والمَشَاهِد يحتاج من الناقد إلى محاولة معايشة التجربة لفهم أبعادها ، وأسرارها ، فيشعر بمعاناة الشاعر ،ويشاركه آلام نفسه فينفذ من خلال شعره إلى حقيقة نفسه التي ربما لا يدركها الشاعر نفسه .

منذ اللحظة الأولى لتناول الموضوع ، ومع بدء الرحلة وضعت نصب عيني ضرورة الإحساس بهذه المعاناة لشاعر عربى أندلسى أمير. تلك ثوابت لابد من أخذها في الاعتبار حتى تؤتى الدراسة الثمرة المرجوّة منها فكانت كالآتى :

- ١ شعر الغربة ليس جديدا على الشعر العربى ،ولا على البيئة الأندلسية وإنْ
 كان لكل شاعر طريقته فى التناول حسب عصره ،وثقافته .
- ٢- الغربة والحنين إلى الوطن من أقرب الموضوعات الشعرية تعبيرا عن نفس صاحبها ،وأكثرها تأثيرا في نفس المتلقى .
- ٣- لكل من الثقافة والعصر دور فى طبع شعر الغربة والحنين بطوابعهما يظهر ذلك بوضوح فى شعر عصر صدر الإسلام ،والشعر الأندلسى .
- ٤- سيطر حلم العودة على الشاعر فراح يراقب الأشياء من حوله علّه يظفر بما
 يطمئنه ،ويحقق له ما يصبو إليه .
- حاول المعتمد إظهار التماسك ،وعدم الخضوع لأنه وَطّن نفسه منذ اللحظة
 الأولى أنه الحاكم السيد .
- ٦- رفض المعتمد واقعه بكل صوره،وأشكاله وعاش فى عالم الماضى بكل مفرداته وأدواته، ووجد فى صور الطبيعة ومشاهدها مشاركة له فى هذا الإحساس.
- ٧- تنوعت معانى الشاعر ما بين شكوى الدهر ،والزهد ،والعتاب ...إلخ و كل تلك المعاني على اختلافها عبرت عن الإحساس الشديد بالفقد والألم بسبب البعد عن الوطن .



- ٨- كانت ألفاظه مُعَبِّرة بصدق عن عاطفته، مُغَلَّفة بالوضوح الشديد ، مُنَوَّعة ما بين الإنشائية منها والخبرية ولكلِّ دوره في خدمة المعنى .
- ٩ تعاونت صور الشاعر مُكونةً لوحة كبيرة ذات جوانب مُتعددة مابين صورة
 الإنسان الباكى الحزين وأخرى للزاهد اليائسإلخ
- ١٠ موسيقى الشاعر وإيقاعته النغمية تُعبِّر بصدق عن معاناته وغربته ؛ فكانت حزينة كأيامه التي يعيشها .
- 1 ١ توَّجت القافية إحساس الشاعر ،وغَلَّفت تجربته بالإيقاع الباكي الحزين، فتكاملت الصورة وتناغم المشهد .

هذا، وأوصى الباحثين بمواصلة الرحلة ،ومتابعة المسيرة ، والوقوف عند هؤلاء الشعراء الذين امتلكوا حِسًا رقيقا ، وابتلوا بالغربة وعانوا آلامها ووصفوا من خلال شعرهم تلك المعاناة ،وهذا الألم ؛ فأضحى الشعر الصادق ديدنهم ، والإحساس الرقيق رفيقهم .

والحمد لله رب العالمين



ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

- ١ القرآن الكريم.
- ٢-الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص: د/ حسن عبد الجليل ، ط مؤسسة المختار، ط ٢ ، ٢٠٠٣م .
- الأصوات اللغوية: ϵ إبراهيم أنيس ، ϵ مكتبة الأنجلو المصرية ϵ ϵ
 - ٤ الأعلام: الزركلي، طدار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الاغتراب والحنين بين المشارقة والأندلسيين: مها الزهراني، ط الشركة الشرقية، الدمام ٢٥٠١هـ، ط ٢.
 - ٦ بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدى، طمكتبة الآداب، ٢٠٠٠م.
 - ٧ تراجم إسلامية شرقية وأندلسية: د/ عبدالله عنان، ط مطبعة الخانجي، ط٢.
- ٩ الجامع الصحيح سنن الترمذى : إعداد هشام البخارى، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
 - ١٠ ديوان ابن حمديس: قدم له: د/ إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت.
 - ١١- ديوان ابن خفاجة : ط دار صادر ، بيروت ، لبنان
- ۱۲ دیوان مجنون لیلی: شرح: عدنان درویش، ط دار صادر، بیروت، لبنان.
- ١٣ ديوان المعتمد بن عباد: جمع وتحقيق : أحمد بدوى ، حامد عبد الله ، مراجعة : طه حسين، ط المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١م .
- 14- الرثاء في الشعر الأندلسي في عصرى المرابطين والموحدين: د/ مهدى عواد، طوزارة الثقافة، الأردن ٢٠١٢ م.
 - ٥١ شرح ديوان الحماسة: التبريزي، طعالم الكتب، بيروت.
- ١٦ شرح ديوان المتنبى: عبدالرحمن البرقوقي، ط دار الكتاب العربي، بيروت.
 - ١٧ شرح ديوان المتنبى: اليازجى، طدار صادر، بيروت .



- ١٨ شعراء وراء القضبان: حسن نعيسة، ط دار الحقائق، بيروت .
- ۱۹ الشكوى فى الشعر العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى: د/ ظافر الشهرى، ط مطابع الحسيني الحديثة، ط ۱۹ ۲۵هـ.
- ٢ الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين:د/عبدالله ثقفان،ط مكتبة التوبة،ط١ .
 - ٢١ ظهر الإسلام: أحمد أمين، طدار الكتاب العربي، بيروت ط٥.
 - ٢٢ عصر الدول والإمارات _ الأندلس: د/ شوقى ضيف، ط دار المعارف.
- ٢٣ العمدة في صناعة الشعر ونقده: ابن رشيق القيرواني، تحقيق : مفيد قميحة ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ۲۲ فتح البارى بشرح صحيح البخارى: ابن حجر العسقلانى ، طبيت الأفكار الدولية ، الأردن .
 - ٢٥ فقه السنة: السيد سابق ، طدار الكتاب العربي ، بيروت طأولى .
 - ٢٦ لزوم ما لا يلزم: أبو العلاء المعرى ، ط دار صادر ، بيروت .
- ۲۷ لسان العرب : ابن منظور المصرى ، طبعة دار إحياء التراث العربى ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ۲ .
- ۲۸ مسند الإمام أحمد بن حنبل: ط مؤسسة التاريخ العربى ، دار إحياء التراث العربى .
- ٢٩ المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر: إعداد/ إميل بديع، طدار الكتب العلمية، بيروت ط ١.
- ٣٠ المغرب في ضمير أدبائه: تأليف مجموعة من الباحثين، ط المطبعة المغاربية.
- ٣١ المنتخب من عصور الأدب: ذو النون المصرى: سعد شلبى ، ط عالم الكتب ، القاهرة .
- ۳۲ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقرى ، طدار صادر ، بيروت، ط ١٩٦٨ .



ثانيا الدوريات العلمية:

١ - الصورة الشعرية عند المعتمد بن عباد - حسناء أقدح - مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٨ - العدد الثاني ٢٠١٢ م .

ثَالثًا الرسائل العلمية:

١ - تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد - عامر عبد
 الله - رسالة ماجستير - فلسطين - ٢٠٠٤.

رابعا: مراجع شبكة المعلومات الدولية:

الإنتماء في الأدب الأندلسي – أنموذج فريد محاولة لاستقراء بعض النصوص التاريخية الأدبية – د – عبد الله ثقفان – ط – مكتبة التوبة موقع الشبكة العنكبوتية –

(المحتوى)

الصفحة	الموضوع
7197	المقدمة
77.1	الفصل الأول: شعر الغربة تأصيلا وتفصيلا
7717	الفصل الثانى: شعر الغربة عند المعتمد الأفكار والمعانى
7770	الفصل الثالث: شعر الغربة عند المعتمد الألفاظ والأساليب
7771	الفصل الرابع: شعر الغربة عند المعتمد صور ومشاهد
775.	الفصل الخامس: شعر الغربة عند المعتمد الوزن والإيقاع النغمى
7757	الخاتمة
7759	ثبت المصادر والمراجع
7707	المحتوى

